طرائف على شواهد القبور

إعداد

عبد الرحمن بكر

الكتاب: طرائف على شواهد القبور

الكاتب: عبد الرحمن بكر

الطبعة: ٢٠٢١

الناشر: وكالة الصحافة العربية (ناشرون)

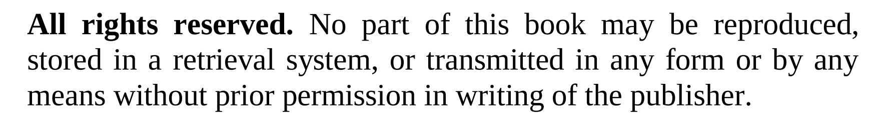
٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم – الجيزة

جمهورية مصر العربية

هاتف : ٣٥٨٢٥٢٩٣ _ ٣٥٨٦٧٥٧٦ _ ٣٥٨٦٧٥٧٥

فاكس : ٣٥٨٧٨٣٧٣

http://www. bookapa.com E-mail: info@bookapa.com



دار الكتب المصرية

فهرسة أثناء النشر

بكر ، عبد الرحمن

طرائف على شواهد القبور/ عبد الرحمن بكر

– الجيزة – وكالة الصحافة العربية.

١٦٧ ص، ١٨*٢١ سم.

الترقيم الدولي: ٨ – ١٥٨ – ٩٩١ – ٩٧٧ – ٩٧٨

أ – العنوان رقم الإيداع : ٥٥٥١ / ٢٠٢١

طرائف على شواهد القبور





مقدمة

إنه الشاهد، دليل القبر، وعلامة انتهاء صاحبه، وتحوله من كيان آدمي إلى ذكرى تحمل حلوها ومرها وعبرتها، هو آخر آثاره المعنوية في دنيا الفناء، قد سطر به تاريخ ولادته، وسجل موعد نهايته: اسمه ولقبه.. يحيطه دعاء أو آية أو حكمة، أو شيء يعبر عن عقيدته، وما كان عليه.. هكذا عرفناه، ورأيناه، واعتدناه.

لكنه هنا في كتابنا هذا مختلف تمامًا، فبين براثن الموت وكآبة الوفاة ورحلة الانتها، تبدو قبورنا باسمة تسخر منك شواهدها، كل شيء هنا مختلف، وما حواه كتابنا أشبه بالكلمات الأخيرة لسقراط "٤٦٩ – ٣٩٩ -ق.م" وهو يراقب الموت الذي يتسلل إلى جسده بعد أن شرب كأس السم: "ويل لرجل سبق عقله زمانه".

ولأن هذا الفيلسوف اليوناني مات من أجل ما يؤمن به، وكانت أفكاره تغيظ الذين بيدهم السلطان، فألقوه في السجن، وقالوا له إنه سيموت!!

لكنهم تعجبوا عندما قابل النبأ بابتسامة هادئة؛ فعادوا يقولون له ينبغي أن تستعد للموت، ولكنه هز رأسه وظل يبتسم قائلاً:

– لقد كنت أستعد طوال حياتي للموت.

فسألوه في ذهول:

- كيف؟

- لم يسبق لي أن ارتكبت خطأ في حق أي إنسان سرًا أو علانية.

ولما جاءته زوجته في سجنه تبكي وتنتحب.. سألها بهدوء:

- لماذا تبكين يا امرأة؟

- لأنهم سيقتلونك بغير ذنب.

- فقال متعجبًا:

- وهل كنتِ تريدينهم أن يقتلونني بذنب؟

وليس هذا عجيبًا، وهو الذي عانى كثيرًا من ظلم زوجته وجهلها حتى أنه عندما جاءه أحد تلاميذه يخبره بأنه سيتزوج قال له:

- تزوج يا بني؛ فإنك إن رزقت بامرأة صالحة، أصبحت أسعد مخلوق على وجه الأرض، وإذا كانت امرأة شريرة صرت فيلسوفاً

وقبل تنفيذ الحكم عليه بشرب كأس السم المسمى ب"سم الشُكران" قال لتلامذته وهو يموت:

- لقد حان وقت الفراق فليذهب كلٌ منا إلى سبيله. أنا إلى الموت، وأنتم إلى الحياة، أما أي السبيلين أفضل فهذا ما لا يعلمه إلا الله

وهذا ما جعل سقراط يُثبت أقدامه ويرتفع في ذاكرة بلاده، فقد وارى التراب كل من ظلموه واختفت أسماؤهم من تاريخها وبقيت

مبادؤه، ولم يفنيها كأس السم الذي كان وسيلتهم لإعدامه، فشربه بكبرياء وعن طيب خاطر..

وكأنما لسان حاله يقول لنا ليس هناك من يستطيع أن يجعلك تحس بالنقص بدون أن توافق أنت على ذلك!! وأفضل لنا أن نعاني من الخطأ بدلاً من أن نرتكبه.

لم يذكر التاريخ شاهد قبر لسقراط لكنه كان بفكره شاهدًا على عصر بأكمله.

السر وراء الكتاب، وقد يتساءل البعض من أين أتت فكرة الكتاب؟ والحقيقة أنني منذ عدة سنوات قرأت يومًا في مراسلات القراء في إحدى الجرائد، بيتين من الشعر قال من أرسلهم أن رجلا قرأهما على قبر في الصحراء ولا يعرف من الذي نظمهما..

يا من مررت على قبري انظر أمامك،

هنا ترقد عظامي ليتها كانت عظامك.

يومها ظللت أضحك على هذا الميت الحاسد لكل حي، وفكرت لو بحثت عن قائل الأبيات، وقررت أن أجعله طريدتي، وتماديت في فكرتي ورحت أجمع أيضًا كل أقرانه من الساخرين، من أنفسهم ومن غيرهم ومن الحياة على شواهد قبورهم سواء كتبوها في حياتهم أو أوصوا بكتابتها بعد مماتهم؛ فقد كنت منذ الصغر أحمل في قلبي نوعا من الضيق والضغينة للشاعر أبي العلاء المعري، وهو من أكثر الشخصيات

الأدبية تشاؤما في الحياة، وقد أوصى أن يكتب على قبره:

"هذا ما جناه أبي علي وما جنيت على أحد"

لأنه كان يرى أن أباه قد جنى عليه؛ إذ كان سبب وجوده في الدنيا، فقد ولد كفيفًا ولم ير شيئًا من جمالها، وهو لم يتزوج ولم ينجب أولادا ليجني عليهم "حسب اعتقاده"، وكنت كلما سمعت هذه الوصية التي كانت كثيرًا ما تتردد في كتب الأدب العربي، أزداد منه ضيقًا، وأقول أنه ولد أعمى البصر فحذف بأصابعه أعين بصيرته!

وأتذكر الشيخ والعالم الفقيه ابن الجوزي الذي أوصى بكتابة الأبيات التالية على قبره:

يـــا كثيـــر العفـــو عمـــن كثـــر الـــذنب لديـــه
جـــاءك المـــذنب يرجـــو الصـــفح عـــن جـــرم يديـــه
أنـــا ضـــيف وجـــزاء الضـــيف إحســـان لديـــه

وهكذا استمرت رحلة البحث، وقد تصورت أنه شاعر مبتدئ، لأنني كنت أرى ضعفًا في الأبيات حتى وجدت أصلها الصحيح وهو:

أيهـــا الزائـــر قبـــري أُتْـــلُ مـــا خُـــطَّ أمامَـــكْ
هاهنـــا، فـــاعلم، عظـــامي ليتهـــا كانـــت عظامَـــكْ

وكانت المفاجأة أن أجد أن الشاعر والأديب الكبير "إبراهيم عبد القادر المازني" هو الذي قد أوصى أن يُكْتَب على قبره هذان البيتان، وهما بالفعل مكملان لما تميزت به شخصيته الأدبية الساخرة، والتي أضاف إليها عند موته كل هذا الكم من الحسد للأحياء بعده، مما ذكرني

بقول القائل: يمكنك أن تشتري المدح، أما الحسد فعليك أن تستحقه.

قد يتعجب بعض القراء عند رؤية كتاب بهذا العنوان، بما فيه من مفارقة بين قدسية الموت وهيبته وسخرية الطُرفة ونقدها للواقع الحي!! أو لطعم النهاية، عند القليل من هواة التذوق، وقد يعتبر البعض الجمع بين هذه المفارقات نوعا من الجنون، والحقيقة أنه قد يكون كذلك فقد سيطر عليّ هذا الشعور لسنوات طويلة، تمتعت فيها بالبحث عن هذا النوع النادر من السخرية، وكنت أحدث نفسي ساعتها قائلاً:

"لا لست مجنونًا، فمازالت هناك شعرة أكتب بها".

وهكذا هي شواهد قبور كتابنا، خلاصة الابتسامة والسخرية الأخيرة، وخلاصة الحكمة التي تتشح بالمرارة.. تلفظ سخريتها بدلا من أنفاسها.. وتكون أحيانا أكثر رضا كقبر صاحبنا الذي كتب على شاهده:

"تذكرونا.. نحن أيضًا عشنا.. ضحكنا.. وأحببنا"..

وكقبر الفلاح البسيط الذي وضع خلاصة غرسه جسده فكتب على شاهده:

"غرست نفسي؛ لكي أنبت لكم الإنسانية"..

وفي وسط العتمة تنبت المحبة وينمو الإخلاص الذي نراه على شاهد قبر زوجة الموسيقار الألماني"فرانتس" الذي كتب عليه: "هنا ترقد موسيقى روحي"، ومن رقود إلى رقود نسخر ونحن نرى شاهد قبر طبيب أسنان شهير، وقد أوصى أن يكتب عليه:

"هذا آخر تجويف سأملأه.."

كتاب تعبت في جمعه سنوات طويلة لندرة مادته، وأبحرت في بطون الكتب القديمة علِّي أجد ما يعلي من قيمته؛ فوجدت أن كل شخص كتب خلاصة رؤيته على قبره يحتاج إلى أن نعرف ما كان عليه في حياته؛ فاخترت مواقف لبعضهم تدل على شخصياتهم، وبنيت عليها ما انتهى إليه شاهده..

لم أدخل في تفاصيل ليس هذا مكانها كحكم الكتابة على الشاهد في الأديان والمعتقدات، لأن شواهد الكتاب تجمع كل البشر بتصنيفاتهم الدينية والعرقية، وما هي إلا حقائق منقوشة بالفعل قمت بتسجيلها من باب الحكمة والطرفة والترويح، ومن ذلك ما كتبه لغوي شهير على قبره:

"حوائج لم تقض، وآمال لم تُنل، وأنفس ماتت بحسرتها"

وما كتبه آخر منبهًا لمن بعده:

"ذهبت لألقى نتيجة أعمالي.. أما أنت فمازال أمامك متسع من الوقت"..

وكما قالها أبو بكر الصديق "رضي الله عنه" لقائده خالد بن الوليد

"احرص على الموت توهب لك الحياة"؛ فأطاعه ووهبت له الحياة، وكان النصر يتبع سيفه أينما توجه في مئات المعارك، حتى أنه قال ساخرًا لحظة وفاته على سريره:

"ما من موضع شبر في جسدي إلا وبه ضربة سيف أو رمية رمح، وها أنا أموت على فراشي كما يموت البعير.. فلا نامت أعين الجبناء!"

وكما يقول الحكيم:

"عندما نولد نشغل من سطح الأرض قدمين، وعندما نموت نشغل من باطن الأرض خمسة أقدام.. عجبًا كل هذا العناء من أجل ثلاثة أقدام".

ولكي تكتمل مسيرة الكتاب كان يجب إضافة بعض الوصايا الأخيرة الشديدة الطرافة واللاذعة الضحكة، والماكرة أحيانًا، فتزيد متعة الكتاب، ويزيد التعلق بمحتواه.. ولكن تبقى أروع حكمة فيه وهي ما كتبه مجهول على قبره:

"أنا كمن سبقني، ظننت أن الحياة لن تسير بدوني، وخاب ظني"

عبد الرحمن بكر

نماذج شامخة

من الضروي أن نذكر بعضًا من أمثلة الساخرين من الموت أو من تمتعوا بالثبات في مواجة الموت، وكما قالها أبو بكر الصديق "رضي الله عنه" لقائده خالد بن الوليد: "احرص على الموت توهب لك الحياة، فأطاعه ووهبت له الحياة وكان النصر يتبع سيفه أينما توجه في مئات المعارك.. حتى أنه قال ساخرًا لحظة وفاته على سريره:

"ما من موضع شبر في جسدي إلا وبه ضربة سيف أو رمية رمح، وها أنا أموت على فراشي كما يموت البعير.. فلا نامت أعين الجبناء!"

ولأنهم كما قال رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم: "أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم"؛ فقد كان أمثاله كثيرين كلهم يحرصون على الموت حرصهم على الحياة؛ فلم نجد في تاريخ الإنسانية جيلا واحدا يمتلك كل هذه الطمأنينة في القلب، وأسوق لكم نموذجا آخر، وهو عبد الله بن حذافة السهمي، الذي أسره هرقل الروم مع من أسر وأراد أن ينال من كبريائه، وفعل معه الأعاجيب لعله يهتز أو يخضع دون فائدة، حتى أمر بإلقائه في الزيت المغلي، وعندما قربه منه وجد دمعة تنحدر على خده، ففرح هرقل وظن أنه نال مراده من إذلاله، فسأله شامتا:

"بكيت لما رأيت الموت؟"

فقال عبد الله بثقة المطمئن بربه:

"إنما بكيت لأن لي نفسًا واحدة تموت في سبيل الله، وكنت أتمنى أن يكون لي ألف نفس"

وها هو سقراط "٤٦٩ – ٣٩٩-ق.م" فيلسوف المباديء اليوناني الذي مات من أجل ما يؤمن به، وكانت أفكاره تغيظ الذين بيدهم السلطان، فألقوه في السجن، وقالوا له إنه سيموت!! لكنهم تعجبوا عندما قابل النبأ بابتسامة هادئة..!! فعادوا يقولون له ينبغي أن تستعد للموت، ولكنه هز رأسه وظل يبتسم قائلاً:

– لقد كنت أستعد طوال حياتي للموت.

فسألوه في ذهول:

– كيف..؟

فقال سقراط:

– لم يسبق لي أن ارتكبت خطأ في حق أي إنسان سرًا أو علانية.

ولما جاءته زوجته في سجنه تبكي وتنتحب، سألها بهدوء:

– لماذا تبكين يا امرأة؟

فقالت: لأنهم سيقتلونك بغير ذنب.

فقال متعجبًا: وهل كنتِ تريدينهم أن يقتلوني بذنب؟

وليس هذا عجيبًا وهو الذي عانى كثيرًا من ظلم زوجته وجهلها

حتى أنه عندما جاءه أحد تلاميذه يخبره بأنه سيتزوج قال له:

- تزوج يا بني؛ فإنك إن رزقت بامرأة صالحة أصبحت أسعد مخلوق على وجه الأرض، وإذا كانت امرأة شريرة صرت فيلسوفاً

وقبل تنفيذ الحكم عليه بشرب كأس السم المسمى "بسم الشُكران" قال لتلامذته وهو يموت:

- لقد حان وقت الفراق فليذهب كلٌ منا إلى سبيله.. أنا إلى الموت، وأنتم إلى الحياة، أما أي السبيلين أفضل فهذا ما لا يعلمه إلا الله.

وهذا ما جعل سقراط يُثبت أقدامه ويرتفع في ذاكرة بلاده فقد وارى التراب كل من ظلموه واختفت أسماؤهم من تاريخها، وبقيت مبادؤه ولم يفنيها كأس السم الذي كان وسيلتهم لإعدامه، فشربه بكبرياء وعن طيب خاطر، وكأنما لسان حاله يقول لنا:

"ليس هناك من يستطيع أن يجعلك تحس بالنقص بدون أن توافق أنت على ذلك..!! وأفضل لنا أن نعاني من الخطأ بدلاً من أن نرتكبه".

كلمات على قبور

تتبعت في الكتب والترجمات الكثير مما أوصى به بعض الشخصيات التاريخية ليُكتب على قبورهم، وكأنهم يريدون ترك رسالة لكل من يأتي بعدهم بها خلاصة أفكارهم وتجاربهم في الحياة، وهذه عدة كلمات منها ما هو وصية لم تنفذ ومنها ما كُتب بالفعل.

نابليون بونابرت

اشتهر نابليون بوقفته وهو يضع يده اليمنى بداخل صديريته، وقد علل ذلك الأطباء بأنه كان يشكو من قرحة في المعدة، وأنه كان يُخفف عن معدته شيئًا من الألم بالضغط عليها، وكانت لهم أدلتهم الطبية على ذلك بأنه كان ينزف دمًا قبل وفاته في منفاه بجزيرة "سانت هيلانة"، وأن التاريخ يؤيد أنه كان يشكو كثيرًا من طعامه، ويعاني آلآمًا بعد كل وجبة.. ويدللون على ذلك بالدراسة الحديثة التي قام بها الأطباء في لندن على أنسجة جسم نابليون المحفوظة بمتحف الكلية الملكية للجراحين بإنجلترا..

وقد طلب نابليون قبل وفاته في ٥ مايو عام ١٨٢١ بأن تُشرح جثته قائلاً:

– أعتقد أنني أموت بنفس المرض الذي مات به أبي؛ فلعلكم بمعرفة مرضي تجنبون ولدي الموت به.

وقد حدث بعد هزيمة نابليون بونابرت في معركة واترلو أنه أمضى سنواته الأخيرة في المنفى في جزيرة سانت هيلينا، ومات في منفاه عام ١٨٢١ وقيل أنه مات بسرطان المعدة، بينما قالت فرضية أخرى بأنه اغتيل عن طريق تسممه بالزرنيخ.

واتضح فيما بعد أن نابليون كان قد أوصى عند وفاته بحلق شعر رأسه وتوزيعه بين أصدقائه، ومع مرور الزمن تم تحليل عينات من شعره الذي وزعه بين أصدقائه، واتضح أن شعره كان يحتوي على الزرنيخ وهو ما يتسق مع فرضية اغتياله به. وقد كُتبت على قبر نابليون بونابرت هذه العبارة: "هنا أغمد نابليون سيفه"

رستم زازا

أما خادم نابليون بونابرت فقد كتب على قبره: "هنا يرقد رستم زازا والمسمى "أبجاهيا وبابا تام"، المملوك القديم للإمبراطور بونابرت من مواليد تفليس بجورجيا"

وليس عجيبًا أن نهتم به، وقد حظي باهتمام إمبراطور فرنسا على الرغم من منظره المخيف والمرعب حيث كان قصير القامة، بدينا إلى حد كبير، وذا عضلات بارزة، وتحكي كتب التاريخ أن إمبراطور فرنسا نظر إلى رستم طويلاً وفحصه بعينيه، وقال له بعد أن شدّ أذنه بلطف:

- هل تجيد ركوب الخيل أيها المخيف؟

فأجابه رستم آنذاك:

- نعم سيدي وقد قاتلت في معارك عدة.

ورستم هذا كان عبدًا تعرض للبيع مرات عديدة في بلدان عربية كثيرة حتى استقر به المطاف في مصر، وعند لقائه بنابليون بونابرت أمر طبيبه الخاص بفحصه والتأكد من أنه لا يعاني من أي مرض، ثم جعله خادمه الخاص الذي يمتطي صهوة جواد عربي ويسير في خيلاء بجوار عربته. وفي أحيان كثيرة كان إمبراطور فرنسا يطلب من خادمه أن ينام بجانب غرفته ويلازمه أينما ذهب مرتدياً زياً مملوكياً مصنوعاً من القطيفة والكشمير المطرز بالذهب الذي صممه له الرسام الفرنسي الشهير المعروف باسم إيزابي. لقد أعطى اهتمام نابليون لـ رستم شهرة في الأوساط الفرنسية الراقية حتى أن صورته وهو يمتطي الفرس طبعت منها آلاف النسخ. وكتبت عنه جريدة "مونيتور" التي كانت تصدر في باريس في تلك الفترة، وقد أطلقت عليه هذه الصحيفة اسم "رستم ذو الوجه الخرافي".

وقد تزوج من ابنة خادم نابليون بونابرت، وتكلف حفل زفافه نحو ١٣٤١ فرنكاً فرنسياً وهو مبلغ دفعه نابليون هدية لخادمه الأمين الذي خدمه نحو عقد ونصف.

طارق بن زياد

وعلى قبر طارق بن زياد الفاتح العظيم كُتب: "هذا طارق بن زياد.. جاءه الطارق قائلاً: أنا الموت، ولم يزد".

مآس متعاقبة

أما الشاعر فيكتور هوجو فقد نُقشت على ضريحه هذه الكلمات: "يُنسي الموت أنه الموت فيطرح منجله بين قصائده الخالدة مستغفراً، وينشد له بعضاً منها فيطرب كل من في القبور".

وهذا الشاعر المبدع من الذين عانوا بالفعل من المآسي المتعاقبة في فقد أفراد أسرته المتحابة؛ فقد مات ابنه الأول وهو طفل، وغرقت ابنته في البحر وهي في التاسعة عشرة، وتوفيت زوجته "آديل" عام ١٨٦٨ ثم تبعها حفيده جورج، وما لبث أن فجع بابنيه: شارل، وفرنسوا اللذين توفيا في فترة لا تزيد على بضعة أشهر من موت أمهما، أما ابنته "أديل" والتي كان قد سماها على اسم أمها، وهي الوحيدة التي بقيت حية بين أبنائه الخمسة فقد كانت شبه مجنونة، حتى أنه كتب بعد موت زوجته:

"لو لم أكن أؤمن بالروح لما عشت دقيقة بعد الآن"

ولم يبق له عزاء في شيخوخته إلا حفيداه: جان، وجورج، وقد دعاهما إلى قصره في باريس لحظة وفاته فقبلهما، وقال لهما:

"كونا سعيدين وفكرا فيَّ وأحباني"

وفي عصر اليوم التالي مات شاعر فرنسا العظيم، وكانت آخر كلماته "إني أرى نورًا أسود".

ومن الطريف أن صحيفة أمريكية عام ١٨٧٥م نشرت خبر وفاة

الشاعر "فيكتور هوجو" ورغم أن الصحيفة علمت أن الشاعر لا يزال حياً إلا أنها لم تعتذر، وبعد ١٠ سنوات مات "هوجو" فعلاً فكتبت الصحيفة نفسها بالخط الكبير: "لقد كنّا أول من سبق إلى إعلان وفاة الشاعر الفرنسي الكبير فيكتور هوجو"

"رديارد كبلنج"

وقد حدث حادث مشابه للشاعر الإنجليزي الكبير "رديارد كبلنج" الذي كان يطالع الصحف ذات صباح، فإذا به يجد خبر وفاته منشوراً في إحدى الصحف، وفي الحال أسرع بتحرير الخطاب التالي إلى صاحب الجريدة: "سيدي.. لقد نشرت جريدتك اليوم خبر وفاتي، ولما كانت الجريدة من الصحف التي لا تنشر الخبر إلا بعد التحقق من صحتها، فلا شك إذن في أن خبر موتي صحيح . ولهذا أرجو شطب اسمي من قائمة المشتركين لأن جريدتك لن تفيدني بعد اليوم ما دمت قد انتقلت إلى عـالم الأموات".

الإمضاء

"جثة" رديارد كبلنج

فولتير يموت

لقد حلق فولتير بأسلوبه لدرجة تجعل الإنسان لا يشعر بأنه كان يكتب فلسفة. ومن عجائبه أنه لم يكن يستطيع الكتابة إلا إذا وضع أمامه مجموعة من أقلام الرصاص، وبعد أن ينتهي من الكتابة يحطمها، ويلفها في الورقة التي كتب فيها، ثم يضعها تحت وسادته وينام.

لقد قال عن نفسه: "إنني أعبر عن آرائي بوضوح كاف وأنا كالجدول الصغير الشفاف ترى ما في قاعه لقلة عمقه".

لقد أعطى فولتير العقل قوة دافعية عظيمة وقد اشتهر عنه قوله: "أختلف معك في كل كلمة تقولها، ولكني سوف أدافع حتى الموت عن حقك في أن تقولها"، واشتهر عنه أيضًا قوله: "إن الراحة والسكينة شيئان طيبان لولا أن الملل أخ لهما.."

وقد عاش حياته في صراع دائم ورفض لكل قيود الحرية، وقد تعرض للاضطهاد والنفي أكثر من مرة، وعاد أخيرًا إلى وطنه وهو في الثالثة والثمانين من عمره ليلفظ أنفاسه الأخيرة وهو يُملي على سكرتيره أن يكتب "أموت وأنا أعبد الله، وأحب أصدقائي، وأكره الخرافات"، وقال لحظة موته: "أريد أن أموت في سلام، لم أعرفه في حياتي!!."

وقد رفضت السلطات الكنسية دفنه، وكان من الممكن أن يصدر قرار بإحراقه، لكن أصدقاؤه أسندوا جثته بينهم ليظن حرس البوابة بأنه مازال حيًا، واندفعوا بفولتير خارج المدينة إلى قبر لائق به.

لكن فرنسا وهي تناضل ضد طغاتها استعادت أخيرًا الرجل الذي صاح يومًا: "أيها الشعب استيقظ وحطم أغلالك" ففي عام ١٧٩١ والثورة في عنفوانها، أعيد جثمان فولتير إلى باريس، واندفع ربع مليون مواطن بين صفوف طويلة من حرس الشرف، يقدمون ولاءهم لرفاته، قبل أن يؤخذ إلى"البانثيون" حيث يرقد عظماء فرنسا، وبينما كان موكب الجنازة يتحرك رفرف علم يحمل هذه الكلمات:

"لقد وهب للعقل الإنساني أجنحة وأتاح لنا أن نكون أحرارًا"

وكُتب على قبره هذه الكلمات:

"هنا يرقد الهازئ الأكبر فولتير. إنه يضحك في ترابه".

الحياة رواية

وهنا نتوقف عند قول "رابليه" في لحظاته الأخيرة:

"أسدلوا الستار.. فقد انتهت الرواية"

موليير

وموليير "١٧٢٥-١٧٨٣" كان يمثل دورا في إحدى مسرحياته. الدور هو أن يتظاهر بالمرض فظل يسعل وينزف، وقد أوشكت دقات قلبه على التوقف وهو يتمتم قائلاً: "أبهذه السرعة ينطفيء اللهب؟"، وعندما أسدل الستار مات.. المسرحية كان اسمها "المريض بالوهم"

ثورو

وها هو "ثورو" على فراش الموت يبتسم لمن حوله وهو يلفظ أنفاسه قائلاً: "أفارق العالم غير آسف".

باخ والظلام

الموسيقار الألماني الشهير جوهان سباستيان باخ "١٦٨٥. ١٧٥٠" كتب يصف حياته بعد أن فقد نور عينيه:

"كان صوت الطيور في الصباح هو الشيء الوحيد الذي يذكرني بأن الظلام قد انقشع، وكنت أقوم من فراشي وأتجه صوب النافذة، وأقف وراءها فأحس بدفء الشمس وهي تتسلل في رفق إلى حيث كنت أمضي أيامي في الظلام..! إنني لم أغادر غرفتي قط منذ اختفى أمامي آخر خيط من الضوء، فقد كنت لا أحتمل أن أمسك بيد تقودني، لا أحتمل أن أشعر بالصمت الذي كان يحتوي المكان الذي أظهر فيه فجأة، فتتحول الضحكات إلى همس، وهي التي كانت تدوي منذ لحظات قبل وصولي إليه"

ومات باخ بعد عام واحد من إصابته بالعمى، وكانت ليلة عاصفة ممطرة تلك التي مال فيها بجسده إلى الوراء وقال:

"إنني أرى بصيصًا من النور ولكنه قادم من بعيد.. قادم من السماء.. إنها تدعوني إليها!"

هيلين كيلر

كتبت الصحفية الإيطالية "ليلي بالمر" عن لقائها العجيب بهيلين كيلر، تلك المرأة التي تحدث عنها العالم وقرأنا عن قوتها في تحدي العجز، عندما رافقتها هي ومعلمتها الشهيرة "الآنسة سوليفان" التي حققت المعجزة في تعليمها النطق ورافقتها في كل مراحل حياتها، وقد كان من حظ "ليلي بالمر" أن قادتهما بسيارتها الجيب عبر الجبال عندما تعطلت سيارتهما وسط جبال إيطاليا، وكانتا ساعتها هي ومعلمتها عجوزتين، وتحدثت إلى هيلين كيلر بواسطة مرافقتها عن الأماكن التي تود زيارتها، ودهشت لكثرتها فقالت هيلين:

- إني أود أن أرى وأتعلم الكثير، ولكن الموت يقف عند الباب لكنه لا يخيفني..

وسألتها ليلي بالمر:

- أتؤمنين بالحياة بعد الموت؟

فأجابت بثقة:

- كل الإيمان، فالموت ليس سوى انتقال من حجرة إلى أخرى.

ومرت لحظة من الصمت، ثم عادت هيلين تتكلم ببطء ووضوح وقد ظهرت على وجهها آثار بسمة خفيفة وهي تقول:

"ولكن هناك فرقًا بالنسبة لي ففي الحجرة الأخرى سوف أبصر".

وقد قالت هيلين كيلر في كتاب "الباب المفتوح":

"مع كل صديق أحببته وأخذوه إلى أحضان الأرض السمراء، دفن جزء مني هناك، ومع ذلك فسوف تبقى مساهمتهم في إسعادي وقوتي وإدراكي لتعضدني في عالم متقلب".

نيرون

وها هو الطاغية نيرون الذي أحرق روما بجنونه يقول عند موته:

"ما أروع هذا الفنان الذي يموت الآن في داخلي"

أما شعبه فقد كتبوا على قبره بعد رحيله: "هنا يرقد نيرون بجانب ضحاياه".

ومن جرائمه ما فعله بالأدباء الرومان: سنكا ولوكان وبترويينوس، حيث مزق كل منهم عروق يديه وانتظر الموت تنفيذاً لأوامر الطاغية نيرون الذي جلس يتفرج على هذه النهاية..

يوليوس قيصر

من المعروف أن يوليوس قيصر قال كلمته الشهيرة وهو يموت عندما غدر به رجاله ووجد بينهم صديقه بروتس فقال:

"حتى أنت يا بروتس"، لكنه التفت إليهم وأكمل كلمته الأخيرة قائلاً: "أتعتقدون أنني أجدت دوري في مهزلة الحياة".

هانيبال

أما هانيبال بطل قرطاجة؛ فقد تقبل مصيره من غير اضطراب أو هلع؛ فها هو يقول بعد أن أدرك أن ساعة النهاية المحتومة قد أزفت، والبسمة الساخرة تغمر وجهه: "هكذا أخلص الرومان من قلقهم وهمهم، وأوفر عليهم انتظار موت العدو القديم الذي يبغضونه".

كروميل

وكذلك حال القائد كرومل الذي أتوه بكأس ماء، فردها وهو يقول: "لا أريد أن أشرب أريد أن أذهب سريعًا!"

السادات

وعندما مات الرئيس أنور السادات كتبوا على شاهد قبره:

"رجل عاش من أجل السلام، ومات من أجل المبادئ"

كليوبترا

أما كليوباترا فقد كتب على قبرها: "ظلت ساحرة حتى اللحظة الأخيرة. أعرفتها؟.. هي كليوباترا".

أبو نواس

أوصى هذا الشاعر والساحر الكبير بكتابة هذه الكلمات "هذا أبو نواس في سكرته الكبرى".

جورج برنارد شو

الكاتب الأيرلندي الساخر جورج برناردشو "توفي عام ١٩٥٠" فاز بجازة نوبل عام ١٩٢٥ وقبلها بعد تردد، لكنه رفض تسلم قيمتها المالية وتبرع بها لإنشاء مؤسسة لترجمة الكتب السويدية والإنكليزية.. انشغل برناردشو وهو في السبعين من عمره بالبحث عن بيت يناسبه وراح يطوف شتى المدن والقرى الإنجليزية حتى مر بقرية سان لورانس، ورغم أن برنارد شو لم يكن من أهل القرية، فقد بادر بزيارة المقابر، وفيها وجد شاهدا يقول: "هنا يرقد هنري توماس، مات في ريعان شبابه في سن الخامسة والسبعين".. تأمل الكاتب الكبير في ذلك، ثم قال لنفسه: "القرية التي تعتبر الخامسة والسبعين سن شباب جديرة بالمرء أن يعيش فيها"، فاشترى بيتا فيها وسكنه وصدق إحساسه وتفكيره، فقد عاش في سان لورنس حتى الرابعة والتسعين من عمره. وذات يوم سألته عجوز متصابية أن يقدر عمرها، فأجابها:

- **من نظر إلى قوامك ظنك ابنه ثمانية عشر، ومن نظر إلى عينيك ظنك ابنه العشرين، ومن نظر إلى شعرك ظنك ابنة الخامسة والعشرين.**

فأعادت سؤالها بدلال قائلة:

- **ولكن كم تظن أنت عمري؟**

فأجابها بلا تردد:

- **إنه مجموع هذا كله.**

وقد كان في أحد الأيام يعرض على أحد ضيوفه تمثالا نصفيًا لنفسه صنعه له المثال الشهير رودان قبل ذلك ببضع سنوات، وقال شو الذي تقدم به العمر:

- هناك شيء غريب في هذا التمثال؛ فهو يزداد شباباً يومً بعد يوم!

وكانت كلماته الأخيرة:

"ليست الحياة شمعة قصيرة الأجل، في نظري. إنها مشعل باهر أمسكت به الساعة، ونيتي أن كون أبهى ما يكون ضياءً، وأنا ممسك به، قبل أن أسلمه للأجيال المقبلة".

ثم التفت برنارد شو إلى خادمته التي كانت تقوم على علاجه وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة قائلاً:

- يا أختاه.. أنت تحاولين إبقائي على قيد الحياة من باب الفضول، ولكني انتهيت.. أنا على وشك الموت، أخرجي الآن حتى أموت على راحتي! سأموت، وفي نيتي أن أقرن حقا الفعل بالقول.

وقبل وفاته كانت وصية شو تشتمل على تخصيص جزء كبير من ثروته لإصلاح الأبجدية الإنكليزية، وهذا ما كان يطالب به في حياته، لكن المحكمة بعد وفاته رأت صعوبة تلبية طلبه وتم التبرع بالمبلغ إلى المتحف البريطاني والمتحف الأيرلندي وأكاديمية الفنون المسرحية..

وقد أوصى شو بأن لا يمشي أحد في جنازته، ولا يقترب منها قسيس، ولا يوضع على قبره أي شاهد أو رمز.

من أعظم أصدقاء "شو" في حياته زوجته "شارلوت" التي كان حبه

لها لا حدود له، وقد عاش معها ما يقرب من خمسة وعشرين عاما ولم ينفصل عنها يوماً واحداً، وبعد موتها أحرق جثمانها حسب وصيتها، وحفظ الرماد في زجاجة، وعندما مات أوصى بإحراق جثمانه وخلط رماده برمادها ونفذت الليدي "أستور" وصيته.

ومن الطريف أن "برنارد شو" كتب نعيه بنفسه، حتى لا يحتاج إلى أن ينافقه أحد من النقاد بعد موته!

الإسكندر الأكبر

وهو الذي عده الجميع أكبر الفاتحين في التاريخ، وقد مات في سن الشباب، بعد أن أمر ببناء ألف سفينة في بابل وإرسال قوات كبيرة إليها إلا أنه عند احتفاله بانتصاراته انتهى الحفل بذهابه إلى فراشه وهو يعاني من الحمى، وقد تحدثت الروايات فيما بعد بأنه قد أصابه السم الذي دُس له في الشراب، لكن الأرجح أنه أصيب بالملاريا التي زادت من شدتها إصابة كبده بسبب إفراطه في شرب الخمر، وعندما ألغى موعد انطلاق جيشه، سرى النبأ بين جنده باقتراب نهايته، فأمر الجيش كله بالمرور صفا متتابعا إلى جوار المضجع الذي تمدد فوقه مليكهم المحتضر، وكان يحييهم بحركة من عينيه، وانحنى فوقه أحد كبار قادته ليسأله السؤال الأخير:

- من تريد أن يكون خليفة بعدك؟

وهنا بدا على شفتي الملك والفاتح العظيم أنه يحاول جاهدًا أن

يبتسم ثم همس بالإجابة في كلمة واحدة:

- الأفضل.

وعلى ضريح الإسكندر الأكبر كُتب: "مات الإسكندر، وهذا ضريحه"

بطرس الأكبر

وقد أمر بطرس الأكبر أن يُكتب على شاهد ضريحه: "في هذا القبر الأصغر يرقد بطرس الأكبر".

أما فريدريك الأكبر، فقد نظر وهو في النزع الأخير إلى القس الذي كان يُصلي من أجله ثم سأله:

- هل من الضروري أن أصفح عن جميع أعدائي.

ولما أجابه بنعم التفت إلى زوجته قائلاً:

- دوروثي.. اكتبي إلى أخيك بأني غفرت له كل سيئات اقترفها بحقي، ولكن انتظري حتى تتأكدي من أنني قد مت فعلاً.

برسي شيلي

وقبل أن يموت الشاعر الإنجليزي برسي شيلي أوصى أصدقاءه ألا يكتبوا على قبره إلا تاريخ ولادته ويوم وفاته وهاتين الكلمتين:

"غير مغرور"..

حياتنا بوصفها مسودة

قبيل وفاة الشاعر الداغستاني "رسول حمزاتوف" كتب بضعة كلمات لخص فيها حياته قائلاً

"حياتي مسودة كنت أتمنى لو أن لدي الوقت لتصحيحها".

ليوناردو دافينشى

ومن المعروف أن شهرة ليوناردو دافنشي جاءت من رسمه للوحة الموناليزة الشهيرة، والموناليزا هي إحدى الأميرات طلبت من دافينشي رسمها ولكنه وقع في حبها فأطال رسمه لها، وكان يغير ويغير ليلتقي بالأميرة كل مرة، وبعد الانتهاء منها كانت اللوحة لا تخرج من القصر، لكن ليوناردو طلب من زوج الأميرة أن يسمح له بوضع خلفية طبيعية للوحة فسمح له بأخذها؛ فذهب باللوحة ولم يعد.

وقد قال هذا العبقري لحظة وفاته:

"لقد أسأت إلى الرب والبشرية لأن أعمالي لم تكن بالجودة الكافية".

مقتل موزارت

الموسيقي الألماني موزارت ألف أول مقطوعة، وهو في السادسة من عمره، وألف أول سمفونية وهو في الثانية عشرة، وكان معروفاً بسذاجته وسماحته وقصر قامته، وقد قتل مسموما في عمر الثلاثين على يد الموسيقي المبدع الشهير تشيسكوا بسبب غيرته من نجاحه.

أما تشيسكوا فمات وهو في الثمانين من عمره، وقال عن موزارت قبل وفاته: "قتلته لتموت موسيقاه معه، وها أنا أبقى فقط لأرى بعيني أن موسيقاه هي الباقية"

وليم شكسبير

مات بالحمى في ٢٣ نيسان ١٦١٦ ودفن في بلدته وقد طلب أن تنقش على قبره هذه الأبيات:

يا صديقي الطيب، من أجل المسيح

لا تنبش التربة المدفونة هنا

وليبارك الله من يترك هذه الأحجار

ولتحل اللعنة على من يحرك عظامي"

واحتراماً لهذه الوصية لم تنقل رفاته إلى مقبرة العظماء في بلده.

مارك توين

لم يوص الكاتب الأمريكي الساخر مارك توين بنقش أي مزحة مضحكة على لوحة قبره، ولكنه اشتهر بالتعليق على خبر وفاته؛ فقد كان حتماً من المحظوظين القلائل الذين قرأوا خبر نعيهم في حياتهم عندما نشرت إحدى الصحف خطأ خبرَ موته، فكتب إليها يوجه أنظارها إلى الخطأ قائلا: "لقد كان في نشركم خبر وفاتي بعض المبالغة".

وقد زار يومًا متحف الشمع الذي أنشأته مدام تيسو، ووقف فترة

طويلة ساكنًا يتأمل تمثال شمعي بارع الصنع، إلى أن استيقظ من تأملاته على دفعة مفاجئة في جانبه، فاستدار ليجد نفسه وجهًا لوجه مع سيدة بريطانية صامته، ولا تزال مظلتها مصوبة إليه، ثم صاحت قائلة:

- يا إلهي إنه حي.. (وأطلقت ساقيها للريح).

ويقول مارك توين: "عندما تكره المرأة رجلا لدرجة الموت فإن ذلك يعني أنها كانت تحبه لدرجة الموت".

وقد كتب في إحدى نوادره يقول:

انتحر أحد سكان فيلادلفيا تاركاً البطاقة التالية: "تزوجت أرملة لها ابنة صبية، فوقع أبي في حب ابنة زوجتي، وتزوجها، فأصبح هكذا صهري، وأصبحت ابنة زوجتي أمي، لأنها زوجة أبي. وولدت زوجتي طفلاً فكان – بالطبع – أخا لزوجة أبي، وخالي أيضاً لأنه أخ لزوجة أبي. ثم ولدت زوجة أبي طفلاً، فكان بالطبع أخي وحفيدي لأنه ابن ابنتي "ابنة زوجتي، وعلى ذلك تكون زوجتي هي جدتي لأنها كانت أم أمي، وأكون زوج زوجتي وحفيدها في الوقت نفسه، ولما كان زوج جدة المرء جدًّا، فأكون أنا جد نفسي!

ومن العجيب أن هذا الساحر الأمريكي مارك تواين "صاحب رواية توم سواير الشهيرة" ولد يوم ظهور المذنب هالي سنة ١٨٣٥ وأعلن أنه سوف يموت عندما يظهر مرة أخرى وظهر في سنة ١٩١٠ ومات مارك توين.

آينشتاين

بالرغم من أن العالم الكبير صاحب نظرية النسبية المشهورة "ألبرت آنشتاين" "١٨٧٩ – ١٩٥٥م" كان من أصل يهودي، فقد قيل عنه أنه كان محبا للسلام ويكره الحرب، وفي لقاء تليفزيوني تحدث إلى "ترومان" رئيس الولايات المتحدة الأسبق قائلاً:

"لقد كان من المفروض أول الأمر أن يكون سباق التسلح من قبيل التدابير الدفاعية، ولكنه أصبح اليوم ذا طابع جنوني، لأنه لو سارت الأمور على هذا المنوال فسيأتي يوم يزول فيه كل أثر للحياة على وجه البسيطة".

وقد قال عنه زميله في برلين العالم الفيزيائي لندتبورج: "كان يوجد في برلين نوعان من الفيزيائيين: النوع الأول آينشتاين، والنوع الآخر سائر الفيزيائيين"

وقد أوصى بضرورة تحليل مُخه بعد موته، لعل أحدًا يهتدي من بعده إلى سر عبقريته، ولم يجد العلماء بعد تحليله فرقًا بين مُخه، ومُخ أكثر الناس غباءً!

ومن العجيب أن الحكومة الإسرائيلية عرضت على آينشتاين منصب رئيس الدولة في العام ١٩٥٢ ولكن آينشتاين رفض هذا العرض الإسرائيلي قائلا: "لا أحكم دولة ولدت لتموت". وهنا يحضرني قول هتلر: "كان بإمكانى إحراق كل اليهود في العالم لكني تركت أقلية منهم

ليعرف العالم لماذا أحرقتهم"، وهذا لا يمحو أن هتلر كان بالفعل من أكبر مجرمي الحرب في العالم وأقساهم ففي سنة **١٩٣٣** أمر هتلر بأن يبتلع المؤلف أرنست تولر، كتابه الذي كتبه ضد النازية (الكتاب من ٤٧٠ صفحة)! وظل يأكل كتابه حتى مات.

حياة أفضل للاثنين!

وعندما توفي عم الكاتب الفرنسي الكبير "أونوريه دي بلزاك" وترك له ثروة لا بأس بها، أذاع بلزاك النبأ على أصدقائه قائلاً: "في الخامسة من صباح أمس، انتقلت أنا وعمي إلى حياة أفضل لكل منا!"

كلماتهم الأخيرة

وهذه بعض كلمات الملوك والرؤساء الأخيرة، وهنا لا يجب أن ننسى هارون الرشيد الذي كان إذا رأى سحابة تسبح في السماء وهي محملة بالمطر يخاطبها قائلاً: "أمطري أنى شئتِ فسيأتيني خراجك"، وهذا بالطبع دلالة عظيمة على اتساع ملكه، لكنه قال لحظة خروج روحه: "يا من لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه"، كانت وفاته عام ١٩٣هـ الموافق ٨٠٩ م.

وها هي إليزابيث الأولى ملكة إنجلترا التي توفيت عام ١٩٨٨ تقول وهي تعاني من سكرات الموت: "كل ممتلكاتي في سبيل المزيد من الوقت".

ومثلها قال ملك إنجلترا هنري الثامن عام ١٥٤٧ وهو يحتضر: "كل شيء ضاع".

وقد قالت "لويز" ملكة بروسيا عام ١٨٢٠ وهي تلفظ أنفاسها الأخيرة: "أنا ملكة، ومع هذا لا أستطيع تحريك ذراعي".

وقد التفت لويس الرابع عشر ملك فرنسا عام ١٧١٥ إلى من حوله وهو في فراش الموت قائلاً: "لماذا تبكون.. هل ظننتم أني سأخلد؟".

أما لويس الثامن عشر ملك فرنسا الذي توفي عام ١٨٢٤ فقد

قال: "يجب على الملك أن يموت واقفاً"

وقد قال الرئيس الأمريكي جروفر كليفلاند لحظة وفاته عام ١٩٠٨: "لقد حاولت بشدة أن أفعل الصواب"

أما الرئيس الأمريكي "جون كوينسي آدامز" الذي توفي في ٢١ فبراير ١٨٤٨ فقد قال عند وفاته: "هذه نهاية الأرض.. أنا سعيد"

وعندما لفظ الرئيس الأمريكي "جورج واشنطن" أنفاسه الأخيرة عام ١٧٩٩ قال: "أموت بصعوبة، ولكني لست خائفا".

الملكة فاندين

المرأة هي المرأة، لا تحب زحف السنين أو علامات الكبر، بل تتمنى أنها تبقى دائماً شابة، وهذا ما دفع الملكة "فاندين" بسجن حلاقها الخاص مدة ٣ أعوام حتى لا يفشي سرها ألا وهو أن الشعر الأبيض بدأ يملأ رأسها!

ملكة تتوج بعد موتها!

إينزي كاستور ملكة البرتغال، وزوجة بيدرا الأول، اغتالها أحد الأفراد، فلما توج زوجها ملكاً أخرج جثمانها من القبر ونصبها على العرش وقال لشعبه: "إنها ملكة البرتغال" فأصبحت أول ملكة تحكم شعبها بعد موتها"

نيوتن يموت

قال الفيزيائي العبقري نيوتن لحظة موته: "لا أعرف ما الذي سوف يقوله التاريخ عني، ولكنى كنت مثل طفل يلعب على شاطئ المحيط.. أنحني على حصاة.. ثم أنحني مرة أخرى على حصاة أصغر، أحاول أن أفهم، بينما محيط الحقيقة، التي لا أعرف عنها شيئًا، يمتدّ إلى ما لا نهاية، وراءي وأمامي!!"

أما الليدي "نانسي آستور" عندما أفاقت في إغماءة الموت، ورأت حولها كل أقاربها "١٩٤٦" قالت كلمتها الأخيرة وهي تتأملهم: "هل أموت أم هذا عيد ميلادي؟"

أما العالم اللغوي الفرنسي "دومينيك بوهور" "١٧٠٢" فقد قال لحظة موته: "إنني على وشك، أو في طريقي إلى أن أموت، وكلا المعنيين صحيح"

والشاعر لورد بايرون "١٨٢٤" كانت كلمته الأخيرة: "الآن سأذهب للنوم، تصبحون على خير"

أما الشاعر الألماني جوته فقد قال لابنته أوتيللي "١٨٣٢": "تعالي يا صغيرتي وأعطني يدك"

وقد قال ملك فرنسا لويس الرابع عشر "١٧١٥" وهو يُسلم الروح: "لماذا تبكون؟ هل تعتقدون أنني خالد لا أموت؟"

وقد كانت آخر كلمات "لويز" – ملكة بروسيا "١٨٢٠": "أنا ملكة، ولكني لا أملك القوة لتحريك ذراعي"

وقد قال الروائي هـ.ج. ويلز "١٩٤٦": "ابتعدوا عني، إنني على ما يرام"

وقد كانت آخر كلمات ماري أنطوانيت ملكة فرنسا هي: "سيدي.. أرجوك المعذرة"، وذلك عندما داست على قدم جلادها عند إعدامها "١٧٩٣"

"إما أن يذهب ورق الحائط هذا، أو أذهب أنا". كانت آخر كلمات الكاتب أوسكار وايلد عام ١٩٠٠.

والمخرج المسرحي "فلورنز زيجفلد" الذي توفي عام ١٩٣٢ قال وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة: "الستائر.. الموسيقى.. الإضاءة.. الاستعداد للبروفة النهائية.. عظيم.. العرض يبدو جيداً.. العرض يبدو جيداً"

أما جورج آبل ١٩٢٨ الذي أعدم على الكرسي الكهربائي فقد قال: "حسناً أيها السادة، أنتم على وشك مشاهدة تفاحة مطبوخة".

أما "نيكولاس سباستيان" الكاتب الفرنسي ١٧٩٤ كتب قبل انتحاره: "وهكذا أترك هذا العالم، حيث يجب على القلب أن يتحطم أو يتحول إلى رصاص".

والمخترع "جورج ايستمان" الذي انتحر في عام ١٩٣٢ فقد كتب:

"إلى أصدقائي: مهمتي انتهت؛ فلم الانتظار؟".

والشاعر جوته قال: "مزيدًا من النور.. افتحوا النوافذ"

الشاعر بيرون قال: "كيف يموت الفلاحون؟!"

أما جان جاك روسو فقد قال: "افتحوا النوافذ سوف أرى الشمس لآخر مرة!"

أما المؤرخ البريطاني توماس كارلايل فقال: "إذًا هذا هو الموت، حسنًا"

وقائد الجيش الفرنسي دو ليديغير الذي توفي عام ١٦٢٦ والذي كان قد أوصى بأربعة آلاف دينار لأحد الأديرة المجاورة، وعندما حضرته الوفاة أقبل إليه رئيس الدير وألح عليه أن يعطيه ضعف المبلغ لينال المزيد من المغفرة وأخذ يده إلي جنة الفردوس جزاءً لذلك فقال له القائد:

"أبتاه، إذا لم أخلص نفسي بأربعة آلاف فلن أخلصها بثمانية آلاف.. وداعًا"، ومات ميتة هادئة تاركًا رئيس الدير يتميز غيظًا.

قالت الدوقة "دون شيفروز" لحظة موتها، وقد عُرفت بلقب "ملكة المؤامرت": "سأتمتع أخيرًا بسعادة التحدث إلى أصدقائي في العالم الآخر"

وقد قال الممثل "شاساجيتري" لحظة موته: "هيا بنا، سأحاول ألا أفسد دخولي إلى المسرح الجديد".

ومن نساء القرن الثامن عشر الذكيات نذكر مدام "دو لافوغويون" التي وجهت ابتسامة إلى عصفور حط على نافذتها لحظة موتها، وقالت وهي تودع الدنيا: "أود أن أُدفن في حديقتي، وأن يُقام قفص عصافير فوق ضريحي، تلك هي مشيئتي الأخيرة".

عندما صعد العالم "توماس مور" إلى خشبة الإعدام، رجا الجلاد بكل أدب أن يمد إليه يد المساعدة للصعود، قائلاً: "المعذرة أعطني يدك لأصعد، وكن مطمئنًا فلن أسبب لك مثل هذا الإزعاج عند نزولي"

أما مدام "ديبيناي" والتي كانت شديدة الاهتمام بالعلوم، فقد أجابت الكاهن الذي وقف أمامها لحظة موتها ليلقنها كلماتها الإيمانية الأخيرة قائلة: "نحن المشتغلون بالعلوم الرياضية والحسابية نعتقد بأن ٢+٢= ٤، وأن ٤+٤= ٨، و...."

شواهد تضحك

مر أحد السياسيين على المقابر فوجد قبرًا قد كُتب عليه: "هنا يرقد الرجل الصادق والسياسي العظيم"، فتعجب وضحك قائلاً: "هذه أول مرة أرى فيها رجلين في تابوت واحد"

وكما قال الساحر الكبير بلزاك: "هناك رجل كالصفر، لا بد من رقم بجواره ليُصبح ذا قيمة" فقد وجد على قبر إنسان بسيط تلك العبارة المحفورة على شاهده: "رقم جديد أضيف إلى ذلك الجدول المخيف".

وكتب على أحد القبور: "لا تقترب من هذا القبر أيها الزائر، فمحتمل أن يخرج صاحبه في أية لحظة ملبياً النداء"

كتب الأديب الإغريقي سمونيدس هذه العبارة: "يا من يمر إلى جوار قبري قل لهم إن المخلصين قد ناموا هنا"

وعلى اللوحة التذكارية لقتلى الحلفاء في منطقة العلمين: "من أجل يومكم وغدكم متنا بالأمس"

"هنا يرقد أزكيال أيكل، العمر ١٠٢ الطيبون يموتون صغارا"

"هنا يرقد جوني ييتس: معذرة لا أستطيع الوقوف"

"هنا يرقد جسد جوناثان بليك: لقد ضغط على دواسة البنزين بدلا من الفرامل".

وهناك على أحد الأضرحة في بلدة بلتربت، في إيرلندا، نقشت

العبارة التالية: "هنا يرقد جثمان "دجون ماوند" الذي فقد في البحر ولم يعثر على جثته قط".

"هنا ترقد "آن مان" عاشت عانسا وماتت عانسا".

وعلى قبر طبيب الأسنان "هوارس براون" كُتب: "أيها الغريب، اقترب من هذه العظام بجدية، فالدكتور براون يحشو فجوته الأخيرة".

وعلى شاهد قبر الممثلة هيدي لامار كُتب: "أنا جد عميقة بالنسبة إليَّ"

وعلى قبر الكاتبة دوروثي أكر وجد مكتوبًا: "أعذر غباري".

وفي إحدى مقابر فرمونت، كتب على أحد الشواهد: "ههنا يرقد جثمان عزيزتنا آنا، فقد أماتتها موزة..!! لم تكن الثمرة هي التي أسقطتها، ولكن قشرة الموزة هي الذي ذهبت بها"

"هنا يرقد مستر جيرالدين جرى ناحية العمدة عام "١٨٧٢" وجرى من العمدة "١٨٧٦" ودفن "١٨٧٦".

"هنا يرقد بسلام مستر "جون" "حتى الآن".

على ضريح السير جون سترينج في فناء كنيسة القديس بطرس في بلدة اكستون، بإنجلترا، تقرأ العبارة التالية: "إن الله يصنع المعجزات بين آن وأخر، هنا يرقد محامٍ كان شريفاً".

وقد وجدت هذه الكلمات على ضريح في مقبرة فرنسية: "هنا ترقد

زوجتي، وهذا شيء حسن، من أجل راحتها، ومن أجل راحتي".

وعلى مقبرة أخرى: "هنا يرقد جثمان "دجون إيلدريد" أو بالأحرى ها هنا سوف يرقد لأنه مازال في صحة جيدة ونحن في الانتظار".

ووجدت هذه العبارة أيضًا: "اخش الله واعمل بوصاياه ولا تحاول أن تتسلق الشجر لأن ذلك ما تسبب في وفاتي".

وعلى قبر آخر كُتب: "في خلال أربعين سنة وضعت ٩٧٣٠ مولوداً هذه السيدة العظيمة "فوبي كرو" القابلة القانونية لبلدتنا".

في مقبرة في فناء كنيسة نيوماركت، في إنجلترا، نقشت هذه العبارة على ضريح فتاة توفيت في ٢١ أيار: "هنا ترقد بسلام الآنسة آرابيلا يونغ التي بدأت تمسك لسانها في ٢١ أيار"

ونقش على ضريح في مقبرة الزنوج بالقرب من مدينة مونتيري، في ولاية جيورجيا الأمريكية ما يلي: "هنا يرقد أبو ٢٩ ولداً، وكان بإمكانه أن "يصنع" أكثر فيما لو اتسع وقته".

وعلى قبر الممثل والاس فورد وجد مكتوبًا: "أخيرًا، أقوم بالدور الأفضل في مسرحيتي".

وعلى قبر عازف البيانو الشهير "أوسكار ليفانت"، والذي كانت شهرته العظمى بأنه "الموسوس رقم واحد في العالم" كُتب: "لقد قلت لكم أني مريض".

وعلى قبر "وليام جراي" وجد مكتوبًا: "ههنا يرقد جثمان وليام جراي، الذي مات دفاعًا عن حق المرور، كان محقًا، محقًا تماماً، وهو

ماض مسرعًا، ولكنه ميت تمامًا كما لو كان مخطئًا".

ونقشت هذه العبارة على أحد الأضرحة الأمريكية: "ماري إني لن أبكيك لأن دموعي لا تبعثك حية من جديد".

في إحدى المدافن بأستراليا مجموعة مؤلفة من خمسة قبور، ثبتت على أربع منها أربع أيد رخامية تشير كل منها إلى القبر الخامس الذي يتوسطها، وكتب كل يد منها: "هذا زوجي""

وعلى ضريح في مقبرة "بين" بالقرب من مرسيليا، يقرأ المرء هذه العبارات منقوشة على رخام أربعة قبور متقاربة: "هنا ترقد آن بيسكادور الزوجة الأولى لماريوس فيغيت"، "هنا ترقد ماريا ديلانو الزوجة الثانية لماريوس فيغيت"، "هنا ترقد فاني روساش الزوجة الثالثة لماريوس فيغيت"، "وهنا يرتاح ماريوس فيغيت".

وهذا ضريح جديد أوصت الأرملة الشابة بتشييده، وطلبت أن تنقش فوقه العبارة التالية على القبر: "إن حزني شديد بحيث لا يسعني تحمله". ولكن قبل أن ينتهي عامل الرخام من الفراغ من كتابة الشاهد تزوجت الأرملة، فطلبت منه أن يضيف كلمة واحدة على الكتابة التي نقشها هي "وحدي".

نشرت صحيفة "تربيون" التي تصدر في مدينة سبرنجر بولاية ماين عام ١٩٥٨ النبأ التالي: "اشترى مستر دنيس وزوجته منزلاً مجاورا لمقابر سبرنجر، حيث ينوي الاثنان الإقامة هناك مستقبلاً".

يشنق بعد وفاته

بعد تولي شارل الثاني ملك بريطانيا العرش، أمر بإخراج جثة أوليفر كروميل من القبر، وعلقه مشنوقًا مدة أسبوع، وذلك انتقامًا لوالده شارل الأول الذي كان كروميل قد أعدمه سنة ١٦٤٩.

وصية مفلس

كتب مفلس وصيته، وكان لا يملك وتدا في حائط. وإليك فقرة من تلك الوصية: "أوصي بكل ثروتي لدائني، أما زوجتي وأولادي فأوصي لهم بأصدق تمنياتي". وبعد موته اطلع شريكه في الإفلاس على الوصية، فقال: "رحمة الله عليه، لقد كان أكثر حدبا على الغريب منه على ذويه. أما أنا فقد أوصيت بكل ثروتي لزوجتي وأبنائي، وبأصدق تمنياتي لدائني".

على قبر كلب

أصيب كلب لورد بايرون الشاعر بالسعار فمرضه الشاعر، ثم دفنه في أنقاض كنيسة قديمة، وأقام على مدفنه قاعدة من الحجر نقشت عليها الكلمات التالية: "قرب هذه البقعة ترقد رفات، من كانت صفاته جمالا بغير غرور، وقوة بغير صلف، وشجاعة بغير شراسة، وجميع فضائل الإنسان بدون نقائضه".

قبور إعلانية

حتى قبور الموتى أصبحت أداة للدعاية والإعلان، وكأنما ضاق عالم الأحياء بمعداته ووسائله فقد وجد في مقبرة في باريس تلك العبارة الإعلانية المبتكرة "هنا ترقد مدام "فيتا" زوجة المسيو جورج صانع أقفال وأدوات حديدية، وهو الذي صنع السور المتقن الذي يحيط بهذه المقبرة".

وبجوار هذه المقبرة كتب على قبر آخر: "هنا ترقد مدام "ليزا" زوجة المسيو موريس، وقد قام ببناء قبرها وشيده بهذا المنظر الرائع ويستطيع القيام بمثل هذا العمل لمن يرغب بمنتهى الإتقان والدقة وبأسعار متهاودة وبالتقسيط المريح".

"هنا يرقد دجوناثان، الرجل التقي الورع، والزوج المحب لأرملته التي لا يمكن تعزيتها، لأنها مشغولة بمواصلة العناية بتجارته للمواد الغذائية في الشارع الكبير بأفضل أسعار في المدينة"

بعدما اشترى أحدهم شركة لدفن الموتى أعلن في الصحف أنه سيغلقها شهراً كاملاً لإجراء إصلاحات، وبعد شهر نشر الإعلان الآتي: "شكراً لانتظاركم"

نشرت صحيفة "جازيت" التي تصدر في "ردليك فولز" بولاية مينسوتا البيان التالي: "سوف تغلق مدافن سانت جوزيف وأوك جروف خلال الشتاء اعتبارا من ١٥ نوفمبر فعلى أهالي المنطقة أن يدبروا أمورهم وفقاً لذلك".

على رخام القبور

كتب على أحد القبور: "هنا يرقد بيير فيكتور فورنييه: "مخترع المصباح الخالد" الذي لا يستهلك إلا قدر مليم من الزيت في الساعة، كان ابنا بارا وأبا صالحا وزوجا كريما. إن أرملته التي لا تتعزى عن فقده تواصل عمله في "ري دي تروا"، والبضائع ترسل إلى جمع أنحاء المدينة. خذوا حذركم من الدكان المقابل".

رسالة من السماء

وضع قسيس القرية إعلاناً على باب كنيسته كتب فيه: "انتقل الأخ سميث إلى السماء في الساعة الرابعة والنصف صباحاً".

وفي اليوم التالي وجد مكتوباً تحتها ما يلي: "السماء في الساعة التاسعة صباحاً.. سميث لم يصل بعد.. نحن في قلق شديد"

مانشيت عزاء

نشرت إحدى الصحف: "أقيم لذكرى جيمز راندوم، الذي توفي في ٦ أغسطس ١٨٠٠ إن أرملته الحزينة على موته حزنا يتطلب السلوان، عمرها ٢٤ سنة، وهي متصفة بجميع الأخلاق التي تؤهلها أن تكون زوجة صالحة، وتسكن في ٤ شارع شرش من هذه القرية".

إلى النهاية

مات الرجل مديناً مفلساً لا يملك قرشاً واحداً، ولكنه طلب في وصيته أن يحمل نعشه ستة من أبرز الرجال في المدينة لكل منهم مبلغ كبير من المال! وكتب في وصيته يقول: "لقد كانوا دائنين رائعين، وإني أود أن يحملوني إلى النهاية!"

ترك أحد كتاب السينما وصية، طلب فيها أن يحرق جثمانه بعد وفاته ثم يلقى عشرة في المائة من الرماد المتخلف عن الحرق في وجه وكيل أعماله!!

على ضريح أحد المحاضرين النمساويين في مقبرة فريد هرف المركزية قي فيينا، نقشت العبارة التالية: "هنا يرقد أفضل رجل في العالم، حرم نفسه من النوم ليتكرم به على الآخرين".

عندما توفي كارينجي، كُتب على قبره: "هنا يرقد شخص عرف كيف يجمع حوله رجالا كانوا أذكى منه"

وقد رؤي شاهد ضريح في مقبرة ريفية صغيرة مكتوب عليه: "هنا يرقد "أناتول" الذي ترمل في عز شبابه وعاش عشرين سنة مع حماته، ومات وأمله كبير في أن يعرف عالمًا أفضل".

تحفر صورة زوجها على لسانها

طلبت "صوفيا ريا وولف" أن تحفر صورة زوجها على لسانها كالوشم لأنها هي التي تسببت في موته بتذمرها المستمر.

وأوصت زوجة أمريكية اسمها ماري كوهيري، بدولارين لزوجها بعد موتها يستخدم نصف هذا المبلغ في شراء حبل ليشنق نفسه به.

على ضريح في فناء كنيسة القديس بطرس في بلدة أكستون، بإنجلترا، تقرأ العبارة التالية: "إن الله يصنع المعجزات بين آن وآخر، هنا يرقد محامٍ كان شريفاً".

في مقبرة في فناء كنيسة نيوماركت، في إنجلترا، نقشت هذه العبارة على ضريح فتاة توفيت في ٢١ أيار: "هنا ترقد بسلام الآنسة "آرابيلا يونغ" التي بدأت تمسك لسانها في ٢١ أيار".

وعلى ضريح آخر: "لم يخذلني في حياتي إنسان قط.. مثلي"

وعلى أحد الأضرحة: "كان رجلا كله مزايا، عيبه الوحيد أنه لا يطاق"

"يا سيد أحزاني.. لو كنت أعرف أن الموت سيسرق نورك من عيني لأغمضت عليك جفني".

أغرب أنواع الموت

الشاعر الإغريقي أناكريون الذي عاش في القرن السادس قبل الميلاد كان يأكل العنب، فانحشرت حبات في حلقه فمات.

والشاعر"تربنادر" رماه أحد أصدقائه بحبة من التين، فاستقرت في حلقه فمات.

والأديب أسخيلوس كان يجلس أمام البيت عندما حلق نسر يحمل سلحفاة بين مخالبه، فأسقطها فنزلت على رأس الأديب فمات فورا. والمؤلف المسرحي يوربيدس هاجمته الكلاب فمزقته حتى مات!

والفيلسوف ذيوجانس طلب أن يدفن على رأسه، إيمانا بأن العالم سوف ينقلب، فإذا انقلب صار واقفا على قدميه.

والفيلسوف العظيم أرسطو "٣٨٤-٣٢٢ ق.م" ألقى بنفسه في البحر، عندما عجز عن تفسير سبب التيارات البحرية، ولماذا تتغير في اليوم الواحد عشرين مرة.

والملك الأديب مثيريادس "٦٣-١٣٢"ق.م" كان يخاف أن يموت مسموما، فطلب إلى خادمه أن يضع القليل من السموم في طعامه، حتى اعتاد الجسم على ذلك. وفي يوم قرر الانتحار، وأخذ كمية من السم، ولكنه لم يمت، فطلب إلى أحد حراسه أن يدق رأسه بحجر .

والفنان كالخاس مات من الضحك، لأنه عاش يوما بعد اليوم الذي حدده العرافون لوفاته!

والفيلسوف هرقلطيس غطى نفسه بروث البقر، حتى مات!

والمفكر الروماني الساخر برجرينوس أشعل ناراً ضخمة، وراح يدور حولها وأبدى إعجابه الشديد بأصواتها وألوانها ثم ألقى بنفسه فيها!

أما الشاعر هلفنوس سبينا، فقد ظنته الجماهير واحدا من السفاحين فتكاثروا عليه وقتلوه

وأبيبوس أول من ألف كتاباً عن الطهي في التاريخ؛ فقد استدرجه أصدقاؤه إلى إقامة وليمة ضخمة، فأقامها. ولما عرف أن الأموال التي تبقت معه لا تكفيه شهرا، ظل يأكل من هذا الطعام حتى مات.

والشاعر الصيني "لي بو" "٧٦٢-٧٠٠ ق. م" ركب زورقا في ليلة مقمرة وشرب نبيذا وغنى ونظم شعرا، وعندما حاول أن يقبل صورة القمر على سطح الماء انقلب وغرق ومات.

والشاعر الإيطالي بترارك "١٣٠٤-١٣٧٤" تمدد على فراشه وأعلنوا أنه مات وتركوه يوما بناء على وصيته، وفوجئوا بأنه اعتدل وقام وعاش بعد ذلك ثلاثين عاما.

والفيلسوف الإنجليزي فرانسيس بيكون "١٥٦١-١٦٢٦" كان يحشو الحيوانات الميتة بالجليد، لكي يعرف كم من الوقت تبقى هذه الحيوانات بلا عفونة.. فمات من شدة البرد

والمؤلف الإنجليزي روبرت برنز "١٥٩٥-١٦٤٠" توفي في نفس اليوم الذي توقعه.

ومات شكسبير والأديب الإسباني سرفانتس في يوم واحد ٢٢ أبريل ١٦١٦

والأديب الأمريكي جيمس أوتس "١٧٢٥-١٧٩٣" تمنى أن يموت في السماء بأن يحمله أحد النسور ثم يموت بين مخالبه، وكان يمشي في الحقول فأصابته صاعقة فمات.

الشاعر الإنجليزي لورد بيرون "١٨٧٧-١٨٢٤" مات عندما نقل منه الأطباء أربعة كيلو جرامات من دمه لعلاجه من الملاريا.

الشاعر الألماني فون تومل مات سنة ١٨٢٤ وطلب أن يدفنوه في جوف شجرة، والعجيب أن الشجرة مازالت حية

الشاعر البريطاني شيللي "١٧٩٢-١٨٢٢" مات غرقا، وعندما أحرقوا جثته لم يحترق قلبه، فحملته زوجته معها في كل مكان

أمير الشعراء الروس بوشكين "١٧٩٩-١٨٣٧" مات في معركة بالسيف، والشاعر الروسي ليرمنتوف "١٨٧٤-١٨٤١" الذي نظم قصيدة بعنوان "موت شاعر"، ومات أيضا في معركة بالسيف مع أحد خصومه.

والأديب الأمريكي هوثورن ولد سنة ١٨٠٤ كان يتشاءم طول حياته من الرقم ٦٤ فكان يحذف رقم ٦٤ من كل كتبه ومذكراته. ويكتب ٦٣ مكرر مات سنة ١٨٦٤

الأديب البريطاني ثاكري "١٨١١-١٨٦٣" مات من التخمة

والفيلسوف الإنجليزي بنثام ترك ثروة ووصيته بأن يظل جسمه معروضا على طلبة الجامعة مرة كل سنة، الجسم لا يزال معروضا.

بعد عودة البطل اليوناني "أجاممنون" من حرب طروادة بوقت قصير لقي مصرعه على يدي زوجته "كليمتمنستر" التي هوت عليه مرتين بفزاعة بينما كان يسترخي في حوض الاستحمام.

بلياس ملك شاليا

قامت "ميريا" بقتل عم جاسون "بلياس ملك شاليا" بوضعه في حوض فيه سم قاتل زعمت زوراً بأن فيه سائلاً سيساعده في تجديد شبابه الضائع وفقاً لما ترويه الأساطير اليونانية.

الملك هاكون

١٩٥٥ انتهى حكم الملك "هاكون السابع" الذي حكم النرويج عام **١٩٠٥** وذلك عندما سقط الملك المحبوب في حوض الاستحمام الملكي بقصره في أوسلو، وقد لبث أكثر من عامين يعاني من صدمة السقوط في الحمام إلى أن مات.

والكاتب "شلومو علينحيم" كان يخاف من رقم ١٣، لا يكتبه في كراريسه ولا في كتبه، وإنما كان يكتب ١٢ مكرر. مات في نيويورك يوم ١٣ مايو سنة ١٩١٦.. كتبوا على قبره: توفي يوم ١٢ مكرر مايو سنة **١٩١٦.**

الأديب الإنجليزي أرنولد بنيت "١٨٦٧-١٩٣١" مات بحمى التيفود بعد أن شرب كوبا من ماء نهر السين ليدلل على أنها مياه نقية صحية!

الشاعر الروسي سرجي أسنين "١٨٩٥-١٩٢٥" قطع عرقا في ذراعه وكتب قصيدة بدمه، ثم شنق نفسه

الشاعر الإنجليزي روبرت بروك "١٨٧٧-١٩١٥" لدغته بعوضة فمات وترك ثروته لثلاثة شعراء هم : جيلمان وابروكرومبي ووالتر دلامار.

تسيطر عليه أينما ذهب

ومما يؤكد على سلطان المرأة الأمريكية المتزايد في دنيا الأعمال والسياسة، ذكر لنا "بروكس" وهو أحد نواب البرلمان عام ١٩٦٣ قصة سيدة من "بروكلين" ذهبت إلى إدارة أحد المدافن العامة قائلة:

- إنني لا أستطيع أن أجد قبر زوجي مع أنه مدفون هنا.

فسألها المدير: ما اسمه؟

- توماس جاكسون.

ورجع الرجل إلى سجلاته وبعد فترة قال لها:

- سيدتي.. ليس لدينا اسم "توماس جاكسون"، ولكن لدينا "إليزابيث جاكسون" فقط.

فأجابت السيدة بثقة:

– هذا هو قبر زوجي.. فإن كل شيء كان يتم باسمي أنا.

وهذه القصة بالطبع تدعونا للتفكير في نوايا الزوج المغلوب على أمره طوال حياته، والذي لم يمهله العمر ليرى ما تمناه، فسبقها إلى حفرته التي نقش اسمها عليه، وهذا يدل بالطبع على أن هذا الزوج لم يستطع أن يتمتع حتى بحرية ملكيته للقبر الذي ينتظر مصيره فيه، ومثل هذا النوع من الزيجات يصعب أن تحكم عليه بالسعادة، وهو أيضا من نوع ذلك الزوج الذي وقف بسيارته في محطة الوقود، وانتظر هو وزوجته صامتين متجهمين ينظر أحدهما إلى الآخر بحذر حتى انتهى العامل الموجود بالمحطة من تعبئة الوقود في خزان السيارة، ثم بدأ ينظف الزجاج الأمامي للسيارة؛ فصاح به الزوج وهو يستعد لقيادة سيارته:

– لا تنظف ناحيتي، بل نظف ناحيتها هي لأن أوامر القيادة تأتي من هناك.

أما تلك العجوز التي تتمتع بروح الدعابة وحيل الماكرين، فقد ابتكرت حيلة وهي في التسعين من عمرها حتى تضمن الحصول على مقعد في أتوبيس يعج بالركاب فراحت تمد عصاها إلى أقرب راكب جالس، وكان قوي البنية، وابتسمت له سائلة: "هلا أمسكت لي العصا حتى أتشبث بكلتا يدي ولا أسقط من اهتزاز الأتوبيس أثناء السير"

فيشعر الراكب بالإحراج ويقوم لها على الفور.

لحظة صدق

قال رجل عجوز لامرأته وهو على فراش الموت:

"أتعرفين يا فاتنتي.. لقد كنتِ معي دائمًا في السعادة وفي الحزن على السواء. فحين خسرت عملي كنتِ إلى جانبي، وعندما جاءت الحرب واستدعوني للتجنيد تطوعتِ أنت للتمريض حتى تكوني معي، وهناك جُرحت جرحًا بالغًا وكنتِ أنت ممرضتي، وعندما حل الكساد الاقتصادي وخسرت كل ثروتي التي ورثتها عن أبي ولم يبق لنا شيء بقيتِ أنت معي، وها أنا الآن مريض مثل كلب هرم أعاني سكرات الموت وأنت لا تفارقيني كالعادة.. أتعرفين.. أتعرفين يا فاتنتي؟! أنت علامة شؤم في حياتي"

وكانت تلك آخر كلماته.. أما هي فقد ماتت بعده بفترة بسيطة بعد أن حُكم عليها بالإعدام لقتل زوجها عمدًا.

سر السعادة

احتفل زوجان في ريف أوربا بعيد زفافهما الستين، وعندما ذهب زوجان شابان لتحيتهما بهذه المناسبة، اقتربت العروس من الزوجة العجوز وبادلتها التحية ثم سألتها عن سر حياتها الزوجية السعيدة، وكيف نجحت في أن تجعلها تستمر كل هذه السنوات؛ فتبسمت العجوز وأخذتها جانبًا كمن يريد أن يفضي إليها بسر خطير، ثم قالت لها محذرة:

– من الأشياء المفيدة لاستمرار حياتك الزوجية طويلاً، أن تعرفي أن

طريق الحب الحقيقي لا يمر ببيت أمك.

ومن الأبناء من يستطيعون خلق جوا من السعادة في عيون آبائهم المسنين مثل تلك الممثلة "لويز فلتشر" التي حصلت على جائزة الأوسكار عام ١٩٧٦ كأفضل ممثلة عن دورها في فيلم "طيران فوق عش الكوكو"، وعندما تقدمت لنيل الجائزة أصرت أن تلقي كلمتها بلغة الإيماء، وبدأت في تحريك يديها وفمها دون كلام وتعجب الجمهور، أما هي فقد نجحت في توصيل الرسالة إلى والديها "الأصمين" اللذين كانا يشاهدان الاحتفال في منزلهما بولاية ألاباما، أمام التليفزيون، فكادا يقفزان من السعادة وهي تقول لهما بتلك اللغة: "أريد أن أشكركما لأنكما علمتماني أن يكون لي حلم! وها أنتما تريان حلمي يتحقق"

قلب عاشق

حُمل رجل متقدم في السن إلى المستشفى إثر نوبة قلبية، وانقضت ساعات قبل أن يسمحوا لزوجته برؤيته، ولكنهم كانوا قد يئسوا من أن يتحسن النبض، ولما دخلت هالها أن ترى الأنابيب والآلات والأجهزة الموصولة بقلب زوجها وأنفه وأوردته، ومشت ببطء نحوه وقبلته وهي تقول: "إني هنا يا عزيزي، كم أشتاق إليك".. وذُهل الأطباء حين رأوا نبضه يتحسن سريعًا. وعندما سألها الأطباء متعجبين عن السر في هذا التحسن قالت في حياء: "لكم تمنيت أن أعرف هل قلبه مازال يخفق لقبلتي بعد ٤٧ سنة من الزواج أم لا".

جثة حية

ظفرت سيدة من محكمة شيكاجو بحكم طلاق حين أنبأت المحكمة أن زوجها من عشاق روايات الجرائم، وأنه يشغل معظم السهرات بإلقائها هي على الأرض كأنها "جثة" ليتمكن من تصور الأحوال التي حدثت فيها الجريمة التي يطالع قصتها.

العجوز المتصابية

توفيت عجوز في عقدها التاسع، ولما فتحت وصيتها وجد فيها ما يأتي: "لا أريد أن يكتب عمري على شاهدة قبري، فإذا لم يكن من ذلك بد، فليكتب عليها: "هنا ترقد سيدة بين الستين والثمانين".

مفاجأة

بعد حضوره مراسم دفن لصديقة الزوجة، راح الزوج يناقش زوجته المتقدمة في السن ويقارن بين عاداتي الدفن والحرق، وفجأة قالت الزوجة: "إنك لم تخبرني أبدًا عما تود أن أفعله بك بعد عمر طويل".

وفكر الزوج قليلاً ثم قال: "الأفضل أن تتركي ذلك مفاجأة".

السياسيون وأمراض النهاية

في الستينات من هذا القرن ذهب رجل ليزور عضو مجلس الشيوخ الأمريكي السيناتور "تيودور جرين" خلال مرضه الخطير الذي اضطره لدخول المستشفى، وبينما كانا يتبادلان الحديث إذ صاح "جرين" الذي كان يبلغ ساعتها الرابعة والتسعين من عمره قائلاً: "افتح جهاز التليفزيون فورًا".

وأطاع الصديق، وكانت نشرة الأخبار المحلية تذاع في ذلك الحين، وانتهت بإذاعة نشرة طبية عن حالة السناتور "جرين" الصحية، وعندئذ قال السيناتور العجوز: "تلك هي الطريقة الوحيدة التي أستطيع أن أعرف بها حقيقة حالتي، فإن الأطباء لا يقولون لي الحقيقة".

وعندما سمع "جرين" يومًا نشرة الأخبار تقول أن حالته الصحية أصبحت طيبة، قفز من فراشه وانطلق إلى بيته!! مما عجل بنهايته.

ومن الطريف ما قاله أحد الأدباء وهو يقف على قبر رئيس وزراء سابق حين أحنى رأسه إجلالاً للموت ذلك الذي هزم العظماء وهو يقول: "رحم الله جوادًا كل حياته كبوات"

وهذا الصحفي عندما اصطدمت سيارته بشاحنة ونقل على أثرها إلى المستشفى، ووضع الطبيب قدمه في جبيرة من الجبس، وطمأنه بأن حالته مستقرة تمامًا، وأن بإمكانه مغادرة المستشفى في اليوم التالي، لكنه

عاد في الصباح، وقال له: "أنا أرى أن تبقى في المستشفى أسبوعًا آخر وذلك لأنني لم أكن على علم بمبلغ إصابتك حتى قرأت عنها بالتفصيل في الصحف!!"

الخامسة والثمانين

وقد سأل أحدهم الفنان الهزلي "جورج بورنز" عن شعوره عندما بلغ الخامسة والثمانين من العمر، فأجاب بهدوء: "عندما أشعر أنني بلغت الخامسة والثمانين سوف أخبرك!"

طريق النهاية

وللتهور دور كبير في دفع عجلة التقدم نحو القبر، إلا أن كل شيء بقضاء لكن هذا بالطبع من قبيل الأسباب، فقد اشتهر الممثل الهزلي "داني كاي" بسرعته الشديدة في قيادة السيارات، وقد تعلم في أواخر عمره قيادة الطائرات، وبعد أن حصل على رخصة قيادة كطيار، دعا المنتج وليم جوتيز إلى رحله جوية معه؛ فقال جوينز:

"حسنًا سوف أحلق معك في الجو، ولن أركب السيارة معك إلى المطار بل سأقابلك هناك".

مواجهة الحقيقة

ضحك العجوز، وهو يستعد لرحلته الأخيرة، ويراقب بعينيه الطبيب الذي يحاول عابثًا أن يطمئنه على صحته، وقال له:

"في هذه المرحلة من العمر يجب أن نتعلم كيف نواجه الموت بروحِ النكتة، فهذا أمر لا يُجدي الفرار منه، فحين تبلغ السن التي بلغتها أنا الآن تصبح شبيهًا بسيارة يثُقب إطارها فتصلحه، ثم ينطفيء مصباحها الأمامي فتصلحه كذلك، ثم يأتي يوم تذهب بالسيارة إلى ورشة الإصلاح فيقول لك السمكري: آسف جدًا هذا النوع من السيارات أصبح في خبر كان".

وعلى الرغم من بساطة هذا العجوز في شرح ما هو قادم إليه، فإنه يذكرني بقول "ميلتون إيزنهاور":

- جوهر الحنين هو إدراك أن ما كان لن يعود.

وقد سأل معلم تلميذه النجيب يومًا:

- ما هي آخر الأسنان التي تنبت في الفم؟

فأجاب تلميذه بعد تردد قصير:

- طاقم الأسنان.

ولكن ليس معنى ذلك أن نستسلم، ونجعل اليأس يبدع في نقش أضرحتنا، وكما يقول "إيفرت سميث" مدير مختبر علم الشيخوخة

والبيولوجيا بجامعة وسكنسن في ماديسيون: "ستنحط قوانا جميعًا في النهاية، ولكن نوعية الحياة هي أفضل بالنسبة للمسنين الذين يتمتعون بروح الأمل، ويصرون على أن يستمر نشاطهم الجسدي في الحركة والتمرين الدائم، وذلك إذا قارناهم بالذين يجلسون منتظرين نذير الموت".

وهذا آخر يذكرنا بالترابط الأسري في اللحظات القاسية قائلاً:

"لم تتمكن أي حضارة من بناء سفن قوية لتؤمن للإنسان رحلته من المهد إلى اللحد أفضل من فرد نشأ في عائلة محبة لبعضها البعض".

حكمة باكستانية

وهناك قصة تدفع كل من قرأها إلى هذا الترابط والتراحم؛ فقد عاشت جدة جليلة باكستانية مع ابنتها وحفيديها، ومع تقدم العمر ازدادت ضعفًا ووهنًا، وبدلاً من أن تكون عونًا للآخرين في البيت فقد غدت مصدرًا ثابتًا للبلوى بكسرها الصحون والكؤوس التي تسقط من يدها أحيانًا وهي لا تستطيع التحكم بها، وذات يوم كسرت العجوز صحنًا ثمينًا فغضبت ابنتها وأرسلت الحفيد ليبتاع صحنًا خشبيًا خشنًا لجدته.

تردد الصبي لحظة لأنه عرف أن الصحن الخشبي السميك سوف يذل جدته، لكنه نزل عند رغبة والدته لفرط غضبها وإلحاحها عليه، ثم عاد ومعه صحنان خشبيان بدلاً من صحن واحد. فبادرته أمه قائلة:

- أنا طلبت منك أن تبتاع صحنًا واحدًا فقط أفلم تسمعني؟

فقال لها وهو يناولها أحد الصحون:

- بلى.. غير أني اشتريت الصحن الثاني لكي أدخره لكِ عندما تكونين عجوزًا.

الممرضة المريضة

وقد عاشت في بريطانيا ممرضة مريضة اسمها "يان" وكانت تعاني من بداية أمراض سرطانية، ولم ينفع العلاج الكيماوي في إيقاف تسلل المرض الخطير، إلا أنها كانت قد كرست ما بقي من حياتها لإسعاد المرضى الذين أحبتهم، وهي التي تشعر بما يشعرون به، وكان من أسباب قوتها أنها رغم شعورها الشديد بالإنهاك لم تتوقف عن العناية بعجوز محتضرة، وعندما جاءت تخفف عنها أمسكت العجوز يدها قائلة: "لن أنجو هذه المرة"!! فسألتها "يان" وهي ترفع شعرة رمادية عن وجنتها: "ما الذي يجعلك متيقنة من أنك ستموتين الآن؟"

فأجابتها العجوز: "إنها الغريزة؛ فالمرء يدرك متى يحين وقت انطلاقه، جسمه يخبره بذلك". وكان هذا ما دفعها إلى عدم اليأس فلم تكن تشعر أن ساعة الانطلاق قد حانت رغم آلامها التي تزداد يومًا بعد يوم.. فتفانت في عملها، وفي النهاية في **٣٠** أبريل عام **١٩٨٣** وقفت جماعة كبيرة من المرضى والممرضين أمام هذا القبر الصغير الذي يقع أسفل شجرة الخوخ المغروسة حديثًا ووضعوا بعض الزهور ووضعوا بالقرب من شاهد قبرها لوحة

كتبوا عليها: "هنا السيدة الرقيقة المكافحة دون تذمر العازمة على التحسن، لقد بذلت طاقتها للمحتاجين، متناسية الزمن المسرع، قالت أنها هي المحظوظة إذ تخلصت من الآلآم لكنها تأسى لأحزاننا بعد رحيلها.. أيتها السيدة الجميلة سوداء الشعر ستحيين فينا أبدًا".

الأرملة الطروب

اقترب رجل من سيدة تنتحب فوق قبر زوجها، وبادرها باحترام: "سيدتي أنا متأسف جدًا لما سأقول في هذا الظرف العصيب، ولكن علي أن أبوح لك بأنني وقعت في حبك من النظرة الأولى".

فصرخت السيدة ساخطة:" أيها المغفل!! أغرب عن وجهي وإلا استدعيت الشرطة.. أهذا وقت كلام الغرام؟"

فاستدرك الرجل بلطف: "إنني لم أشأ الإفصاح عن عواطفي في هذا الوقت الحزين، لكنك سحرتني بجمالك الأخاذ فلم أستطع ضبط نفسي"

وفي الحال تغير مزاج المرأة فهتفت بنشوة:

"وكيف لو رأيتني غير باكية؟".

عندما تكلمت العظام

يُعد السير "سيدني سميث" من أعظم خبراء الطب الشرعي، وقد ولد في نيوزيلاند وتلقى علومه في أدنبره، وتخصص في الطب الشرعي، وعُين في سنة ١٩١٧ كبيرًا للأطباء الشرعيين في مصر، وقد أصدر كتابًا

تحدث فيه عن أهم القضايا الجنائية التي عرضت له أثناء عمله في مصر، وكان من أغربها يوم أن جاءوا إليه "بحرز" وقد وضعوا حرزا فيه ثلاثة عظام صغيرة، وجدوها في قاع بئر مهجورة، والمطلوب معرفة هل هي عظام إنسان أم حيوان، وعلى الفور قام بفحص العظام واستطاع الإجابة على أكثر ما استفسر عنه البوليس فقال: "إنها عظام لامرأة في مقتبل العمر قصيرة القامة نحيلة الجسم عمرها ما بين ٢٣ و٢٥ عامًا، وقد حملت مرة واحدة على الأقل، وتوفيت منذ ثلاثة شهور، وساقها اليمنى أقصر من ساقها اليسرى قليلاً ولعلها قد أصيبت بشلل الأطفال وهي صغيرة، وأضاف أن صاحبة العظام قتلت برصاصة بندقية أطلقت من إلى أعلى من مسافة ثلاثة أمتار، وأن القاتل كان جالسًا أمامها إلى اليسار، ولكنها لم تمت على الفور، وإنما لفظت أنفاسها بعد عدة أيام بسبب تسمم الجرح، وهذا ما قرأه في العظام الثلاثة.

وبالفعل شرع البوليس في العمل على ضوء تقرير الطبيب الشرعي، فاستجوبوا أهل المنطقة المحيطة بالبئر، عما إذا كانت هناك امرأة عرجاء مفقودة، وسرعان ما علموا أن هناك امرأة تنطبق عليها المواصفات اختفت من القرية منذ بضعة شهور وأنها في الرابعة والعشرين من عمرها وتزوجت وطلقت بعد أن رزقت من زوجها بطفلة توفيت بعد مولدها، ثم أقامت بعد طلاقها مع أبيها إلى أن اختفت وانقطعت أخبارها.

واستجوب رجال البوليس الأب ولم يقتنعوا بأقواله فألقوا القبض عليه، ووجهوا إليه تهمة قتل ابنته، واعترف الرجل أخيرًا بأنه قتلها، ولكن

في ظروف خارجة عن إرادته، وقال: كنت جالسًا أمامها على الأرض، وهي واقفة بالباب وكانت بندقيتي في يدي أنظفها دون أن أعلم أنها محشوة، وفجأة انطلقت الرصاصة وأصابتها، فسقطت على الأرض وحملتها إلى فراشها، وحاولت جاهدًا أن أنقذها، ولكنها توفيت بعد أسبوع.

ولما سُئل: لماذا لم يستدع أحد الأطباء؟، أجاب بأنه خشي أن يسأله عن إحراز بندقية بدون ترخيص، ثم قال إن موت ابنته زاده هلعًا، فألقى جثتها في البئر، ثم علم بعد شهرين أن في نية الحكومة تطهير البئر واستخدامها، فهبط إلى البئر تحت جنح الظلام، وحمل بقايا ابنته وألقى بها في النيل معتقدًا أنه أزال كل أثر للحادث، ولكنه أغفل العظام الثلاث الصغيرة، وكان فيها الكفاية لتنطق بالجريمة.

تفسير اللغز

إن كل لغز يبدو سهلاً عند توضيحه، فالعظام الثلاث كانت للفخذين وجزء من السلسلة الفقرية، وليس في الهيكل العظمي أفصح من هذه العظام الثلاث في الدلالة على جنس صاحبها، وهل هو ذكر أم أنثى!

وقد كانت هذه العظام صغيرة وخفيفة مما دل على أن صاحبتها قصيرة القامة نحيفة الجسم، وعظمتا الفخذين تتحدان عادة في سن الثانية والعشرين إلى الخامسة والعشرين، وقد كان اتحادهما في هذه الحالة غير كامل مما دل على عمر صاحبتهما. وكانت بعض الأنسجة لا

تزال عالقة بقطعة من العظم، ومن هذه الأنسجة استنتج حدوث الوفاة منذ نحو ثلاثة أشهر.. كذلك وجدت في العظام كهوفا تدل على حدوث حمل مرة واحدة على الأقل، أما عرج المرأة فكان من السهل اكتشافه، ذلك أن عظمة الفخذ اليمنى كانت أكبر وأثقل من عظمة الفخذ اليسرى، ومعنى ذلك أنها احتملت أكبر جانب من ثقل الجسم مدة طويلة، ومعناه أيضًا أنها كانت تعرج بساقها اليسرى منذ الطفولة..

وقد علم أنها قتلت بطلق ناري، لأنه وجد أثر الإصابة في إحدى العظام، وكان عمق الأثر واتجاهه يدلان على أن الرصاصة أطلقت من مسافة قريبة، ومن أسفل إلى أعلى فأصابت الفخذ واستقرت في المعدة.

مقبرة النساء

ويتحدث عن أعجب القضايا التي مرت به في حياته، وهو عندما أرسلت له نيابة الإسكندرية عظمة آدمية لفحصها، ولم يدر بخلده أن هذه ستكون بداية قضية من أعجب القضايا وأهمها في تاريخ الإسكندرية، فقد كان بعض العمال يحفرون الأرض في أحد شوارع الإسكندرية فعثر أحدهم على هذه العظمة. وعندما ذكر السير "سيدني سميث" في تقريره أنها عظمة آدمية، أمرت النيابة بمواصلة أعمال الحفر تحت رقابة البوليس، ولم يلبث العمال أن وجدوا مزيدًا من العظام الآدمية تبرز من تحت بيت مجاور للحفرة، وطلب منه النيابة أن يشرف بنفسه على أعمال الحفر، وبالفعل وبعد أيام أخرج العمال من الحفرة جثة لم يتطرق إليها العفن بعد، لامرأة في مقتبل العمر قُتلت شنقًا.. ثم وجدت

جثة ثانيَة، فثالثة، فرابعة.. سبع جثث وجدت في صف واحد، وتحتها سبع جثث أخرى، وكلها لنساء قتلن بطريقة واحدة، هي الشنق بالحبال!

وأراد أن يعرف السر؛ ففحص الجثث، وكانت الضحايا جميعهنَّ من البغايا، لأن المرأة البغي هي وحدها التي يمكن أن تختفي بسهولة دون أن يُثير اختفاؤها أية ريبة. ولما كان لدى البوليس سجل بأسماء الساقطات فقد أمكن معرفة شخصيات الضحايا، واعتقلت صاحبتا البيت "ريا وسكينة"، وكانتا تختاران ضحاياهما من بين الساقطات اللاتي أثرين من البغاء ويأخذن حليهن الذهبية، فكانتا تدعونهن إلى البيت بحجة وجود زبائن، ولا تكاد إحداهن تجلس مطمئنة حتى يتسلل زوجا ريا وسكينة من ورائها ويضعان حبلاً حول عنقه، وقد قبض كذلك على الزوجين، وأحيل الأربعة إلى محكمة الجنايات، فقضت المحكمة بإعدامهم.

الموت وقضايا المرأة

وقد عاشت الكثير من النساء في حروب من أجل قضية عمل المرأة، وظلت قضيتهن تراودهن حتى النهاية مثل راقصة البالية "أنا بافلوفا" التي عاشت تلك القضية وماتت عام ١٩٣١ فقد قالت لحظة خروج الروح:

"جهزوا لي ثوب البجعة".

ومن الطريف ما قاله المفكر البريطاني "ج. ك تشيسترتون": "لقد وقفت ٢٠ مليون امرأة وصرخن بصوت واحد: مطالبين بحريتهن

والخروج من البيت وهن يهتفن بصوت واحد: "لن نسمح لأحد بأن يُملي علينا أمرًا"، وفي النهاية أصبحن سكرتيرات!

وهكذا يمكننا أن نردد الحكمة القائلة: "وراء كل رجل امرأة تحاول الحصول على عمله"

أيـن اللّه؟

خلال زيارة رجل الفضاء الروسي جيرمان تيتوف لإندونيسيا، دعي إلى مأدبة عشاء في نادي ضباط البحرية في "سورابايا". ووقف تيتوف ليلقي كلمة قال فيها: "لقد تجولت في كل مكان في السماء عدة أيام، ولكني لم أر الله مرة واحدة".. فقال أحد الضباط الإندونيسيين: "كان في استطاعتك أن تراه لو أنك خرجت فقط من كبسولتك"

صديق الأموات

عاش في إنجلترا في أوائل القرن التاسع عشر رجل تلخصت متعته في تشييع الجنازات، وكان عندما يسمع بموت أحد، يبادر بمقابلة "الحانوتي" للاتفاق معه على إجلاسه في عربة الفقيد بجوار التابوت، وقد توفي صديق الأموات الصدوق من فرط إخلاصه لهم، في أثناء إحدى هذه الجلسات، مختنقا قبل وصوله إلى القرافة.

رثاء صديق

كتب أحدهم على قبر صديقه: "كان بطيء التفكير، قليل الكلام،

ولم يكن كلامه أو فكره مدعاة إلى التأمل. لكن حضوره كان بهجة الجُلساء، لأنه كان أمير الإصغاء".

* أوصى الممثل الشهير "جورج أبيض" أن يكتب على قبره: "عشت عمري كله ممثلاً فلا تحاولوا تمثيل دور الحزن عليّ".

* طلب الأستاذ عبد الله الطوخي أن يكتب على قبره: "لم أختر مولدي، ولم أختر موتي، ولكني اخترت حياتي".

* أما الشاعر الكبير "محمد الماغوط" الذي اشتهر بشعره المتدفق الثائر حتى أنه هجا وطنه من فرط محبته له حتى قيل إنه كان في طفولته يأكل التراب، وعندما مات تساءل من بعده الشعراء: "هل أخذ الماغوط حقاً حصته من تراب وطنه؟ وهو أيضًا الرجل الذي أحب زوجته الشاعرة سنية صالح حبًا لا حدود له وكان يشعر معها بأنه في عالم طفولي ساحر مهما كبر سنه فقد كتب على قبرها "هنا ترقد آخر طفلة في العالم"

وفي كتب التراث العربي

قال بعضهم: وجدت على قبر مكتوباً: "أنا من كانت الريح طوع أمره، يحبسها إذا شاء، ويطلقها إذا شاء"؛ فعظم في عيني مصرعه. ثم التفت إلى قبر آخر قبالته كتب عليه: "لا يغتر أحد بقوله، فما كان أبوه إلا بعض الحدادين يحبس الريح في كيره ويتصرف بها"؛ فعجبت منهما يتسابان ميتين.

ذنب

وعلى مقبرة جماعية بالعراق كتبت هذه العبارة: "هنا تحت الأرض، ترقد بسلام، أرواح أزهقت، وكل ذنبها إنها ولدت عليها"

* وافقت شركة لويدز للتأمين في لندن على التأمين على حياة رجل ضد خطر الموت بالطريقة التي مات بها الشاعر اليوناني القديم "أسخيليوس"، وهي واثقة من أنها لن تضطر أبدا إلى دفع قيمة التأمين. ونحن نذكر أن أسخيلوس قد مات عندما سقطت على رأسه سلحفاة من منقار نسر كان طائرا بها"

*كتب على قبرها: "هنا ترقد حماتي بسلام، وأنا أيضا"

*كتب على قبر أبي هريرة بن النقاش بوصية منه:

بقارعة الطريق جعلت قبري، لأحظى بالترحم من صديق

فيا مولى الموالي أنت أولى برحمة من يموت على الطريق

وسبب ذلك أنه أوصى أن يدفن على قارعة الطريق، فصار كل من يمر بقبره يترحم عليه حتى قال بعض الناس: "كان صاحب حيل في حياته وبعد مماته".

على قبر كلب

كان لامرأة أعرابية غلام تحبه وتعتز به، وكانت تخرج من حين لحين تطلب رزقها، وكانت تترك طفلها في رعاية كلبها الأمين فكان

الكلب يقوم على حراسته ويدفع عنه كل أذى. وبينما كان الكلب يحرس الطفل إذ أقبل على الطفل ثعبان يريد أن يؤذيه فهجم عليه الكلب ومزقه إربا ثم خرج إلى باب البيت كأنما ينتظر أم الطفل لكي يخبرها ببشرى انتصاره على أخطر عدو كان يتربص بابنها سوءا.

ولم تلبس المرأة أن عادت إلى منزلها، وما كادت عينها تقع على فم الكلب ورأته ملطخا بالدم حتى أخدها الغضب، وظنت أن الكلب قتل ابنها فلم تتمالك نفسها وقامت بقتله، ثم أسرعت لتنظر إلى ولدها، فإذا هو حي يضحك ويلعب وحوله الثعبان مقطعا وممزقا، ففهمت كل شي وعلمت أن الغضب أعمى عينيها وقلبها عن الصواب وأنها تسرعت في الحكم على الكلب الذي حفظ لها حياة ابنها من الموت؛ فراحت تبكي وتندم على فعلتها وأقامت له قبرا ولما فرغت من دفنه كتبت على قبره: "هنا يرقد أوفى الأوفياء وأذكى الأذكياء وأخلص المخلصين الشرفاء"، وكانت تزوره كل حين اعترافا له بفضله ووفائه.

رجل يكره اسمه

عاش "عظيم كامل" طفولة سعيدة لم يعكرها شيء سوى سخرية أقرانه من اسمه، وهكذا شب على كره هذا الاسم الذي لم يكن له يد في اختياره، ثم تزوج وأنجب أولادا وأسس تجارة ناجحة، لكنه ما انفك يمقت اسمه حتى النهاية. ولما تقدمت به السن أصابه مرض خطير، وذات يوم استدعى زوجته وقال لها: "أحس أن أجلي قريب وعندما توافني المنية، أرجو ألا يذكر اسم "عظيم" على شاهدة ضريحي، وأن يكتفى بكامل".

ومات صاحبنا، وكانت زوجته أمينة على رغبته، لكنها رأت أن عبارة "كامل" وحدها لا تكفي، فأضافت إليها الآتي: "لقد عاش كامل حياة زوجية طويلة من غير أن ينظر إلى امرأة أخرى"

وحتي اليوم، كلما مر أحد بضريحه، وقف متمتما: "عظيم"

والتاريخ الإغريقي يذكر لنا قصة الفنان "زويكس" الذي رسم لوحة واحد يضحك، فلما فرغ منها راح يضحك حتى مات من الضحك! تماما كما يموت الإنسان من شدة الفرح أو من شدة الحزن

البخيل يموت

استدعى رجل بخيل، وهو على سرير الموت، طبيبه ومحاميه ورجل الدين في بلدته، وأبلغهم بوصيته الآتية:

"طالما سمعت أن الإنسان لا يأخذ معه شيئا من هذه الدنيا الفانية، لكنني قررت كسر هذه القاعدة، ولذلك أحضرت ثلاث رزم، في كل منها ٣٠ ألف دولارا، وأنا أرجو كلا منكم أن يحمل رزمة ويرميها في ضريحي قبل أن ينهال التراب عليه".

وفي الدفن رمى كل من الثلاثة الرزمة من يده، ولدى مغادرتهم المكان اعترف رجل الدين بأنه أبقى معه عشرة آلاف دولار لصرفها على مشروع خيري، وأقر الطبيب بأنه احتفظ بعشرين ألفا تعينه في بناء مستشفي صغير، أما المحامي فقال: "لقد أخجلتماني فأنا رميت حوالة مصرفية بالمبلغ كله"

الصندوق المغلق

ظلا متزوجين ستين سنة كانا خلالها يتصارحان حول كل شيء، ويسعدان بقضاء كل الوقت في الكلام أو خدمة أحدهما الآخر، ولم تكن بينهما أسرار، ولكن الزوجة العجوز كانت تحتفظ بصندوق فوق أحد الأرفف، وحذرت زوجها مرارا من فتحه أو سؤالها عن محتواه، ولأن الزوج كان يحترم رغبات زوجته فإنه لم يأبه بأمر الصندوق، إلى أن كان يوم أنهك فيه المرض الزوجة، وقال الطبيب أن أيامها باتت معدودة، وبدأ الزوج الحزين يتأهب لمرحلة الترمل، ويضع حاجيات زوجته في حقائب ليحتفظ بها كتذكارات، ثم وقعت عينه على الصندوق فحمله وتوجه به الى السرير حيث ترقد زوجته المريضة، التي ما إن رأت الصندوق حتى ابتسمت في حنو وقالت له: "لا بأس، بإمكانك فتح الصندوق". فتح الرجل الصندوق ووجد بداخله دُميتين من القماش وإبر النسج المعروفة بالكروشيه، وتحت كل ذلك مبلغ ٢٥ ألف دولارا، فسألها عن تلك الأشياء فقالت العجوز هامسة: "عندما تزوجتك أبلغتني جدتي أن سر الزواج الناجح يكمن في تفادي الجدل والغضب، ونصحتني بأنه كلما غضبت منك، أكتم غضبي وأقوم بصنع دمية من القماش مستخدمة الإبر"

هنا كاد الرجل ان يشرق بدموعه: دُميتان فقط؟ يعني لم تغضب مني طوال ستين سنة سوى مرتين؟ ورغم حزنه على كون زوجته في فراش الموت فقد أحس بالسعادة لأنه فهم أنه لم يغضبها سوى مرتين، ثم سألها: "حسنا، عرفنا سر الدميتين، ولكن ماذا عن الخمسة والعشرين ألف دولار؟" أجابته

زوجته: "هذا هو المبلغ الذي جمعته من بيع الدَمى يا زوجي الحبيب.

مقابر للحيوانات

وجدت أننا نكتب أيضا على قبور الكلاب والقطط التي كانت عزيزة علينا، ففي مستشفى الحيوانات في العباسية بالقاهرة مقابر للكلاب، أشهرها مقبرة كلاب د. هاشم فؤاد عميد كلية الطب، فعلى القبر الصغير نقشت هذه العبارة "إن الحياة بعدك صعبة مؤلمة جدا"، وكتب اسمه واسم زوجته وابنته.

واللواء محمد نجيب (أول رؤساء مصر) كانت عنده مقبرة للكلاب كتب عليها "هنا يرقد أعز أصدقائي".

بيتهوفن

الموسيقار الشهير "بيتهوفن" قال لحظة وفاته عام **١٨٢٧**: "صفقوا أيها الأصدقاء.. لقد انتهت الكوميديا".

* أما عالم اللغة الفرنسي الشهير "دومينيك بوهور" فقد قال عام **١٧٠٢** وهو يموت: "أنا على وشك أن – أو أنا أكاد أن– أموت، كلا التعبيرين صحيح.."

والكاتب "يوجين أونيل" الذي توفي عام **١٩٥٣** قال لحظة وفاته: "كنت أعلم.. كنت أعلم.. اللعنة. ولدت في غرفة فندق، وسوف أموت في غرفة فندق".

وقد قال الرسام "بيترو بيروجينو"، وهو يموت عام ١٥٢٣: "والآن سأعرف ماذا يحدث لمن يموت دون أن يتطهر من خطاياه"

أما "بانشو فيللا" الثوري الذي مات في عام ١٩٢٣ وهو يغالب سكرات الموت التفت إلى زوجته وهو لا يدري ما يقول بينما ينتظر مؤيديه وقال لها: "لا تجعلي الأمر ينتهي هكذا. قولي لهم أني قلت شيئاً"

أديسون

أما المخترع الكبير "توماس أديسون" الذي توفي عام١٩٣١ فقد قال لحظة خروج روحه: "المنظر بديع جداً من هنا".

وقد قال السياسي "بنيامين فرانكلين" المتوفى عام ١٧٩٠: "لا يستطيع الرجل أن يفعل أي شئ بسهولة وهو يحتضر"

وقد قال الكاتب "توماس هوبس" المتوفى عام ١٦٧٩ كلمته الأخيرة: "أنا على وشك الذهاب لرحلتي الأخيرة.. قفزة هائلة في الظلام".

المشترك الوحيد

أسس الكاتب الإنجليزي "هـ.ج. ويلز" جريدة مع صديقه "هنلي" فلم تصادف الجريدة رواجا ولم يزد المشتركون فيها على قارئ واحد! وفي ذات يوم كان ويلز وصديقه يطلان من نافذة مكتبهما بالجريدة، فرأيا موكب جنازة يمر بالطريق؛ فقال ويلز:

"أرجو يا صديقي ألا تكون هذه جنازة صديقنا المشترك الوحيد!"

غرامة للجثة!

كان أحد القضاة القدامى في الشمال الغربي من الولايات المتحدة مولعاً بإصدار أحكامه بالغرامة في أغلب القضايا. وحدث يوماً أنه كان يحقق في حادث العثور على جثمان شخص غريب وجد ميتاً في الغابة وهو يحمل في جيوبه مسدساً و٤٠ دولاراً ذهبياً، وأصدر القاضي قراره بتغريم الجثة ٤٠ دولاراً لأنها تحمل مسدساً غير مرخص

* أوصى الممثل الكوميدي سبايك مليغان، وقد كان مريضًا بالوهم، أن يكتب على قبره: "هاك انظر! ألم أقل لكم إنني مريض"؟! بيد أن الكنيسة الكاثوليكية رفضت كتابة ذلك على قبره واعتبرته سخرية غير لائقة بالموت، فاضطرت زوجته إلى ترجمة الكلمات إلى اللغة الغيلكية الأيرلندية ونقشها على الشاهد، والظاهر أن القس لم يكن ملما بهذه اللغة.

مومياء

رأى صبيان مومياءً في متحف، وقد كتب على واجهتها ١٢٨٦ ق.م فسأل أحدهم رفيقه: "ماذا يعني هذا الرقم؟"؛ فأجاب الآخر: "ربما هو رقم السيارة التي دهسته"

سفينة نوح

بعدما قرأ الصبي في المدرسة عن سفينة سيدنا نوح، سأل جده المزارع العجوز: "قل لي يا جدي، ألم تكن مع سيدنا نوح في الفلك؟"، أجاب الجد: "طبعاً لا". فاستغرب الصغير: "لكنك تتحدث دائماً عن الأيام الماضية، ولديك كل هذه الأبقار والحمير والكلاب والهررة في مزرعتك. اعتقدت أنك كنت معه في سفينة"؛ فكرر العجوز نفيه. فصاح حفيده: "ما دمت لم تكن معه فلماذا لم تغرق إذاً؟"

تقاعد

قال المدير للموظف: "يؤسفني أنك قررت التقاعد، فليس من السهل الحصول على شخص مثلك بالراتب الذي كنت تتقاضاه".

وراثة قبل أوانها

على لوحة إعلانات في الجامعة عُلّق الإعلان الآتي لمحاضرة: "هل الشيب المبكر وراثي؟"، فكتبت إحداهن تحته: "أجل إذ أن مصدر شيبي كان أطفالي".

اعتراف!

كانت سيدة انجليزية على وشك الموت من مرضها، فاستدعت زوجها وقالت له: "أريد أن أعترف لك بأني قد خنتك مرة واحدة".

فرد زوجها: "وأنا أيضا أريد أن أعترف لك، بأني قد عرفت بخيانتك، فوضعت لك السم الذي تموتين به الآن!"

أغرب موتة

"وافقت شركة لويدز للتامين في لندن على التأمين على حياة رجل ضد خطر الموت بالطريقة التي مات بها الشاعر اليوناني القديم "أسخيليوس"، وهي واثقة من أنها لن تضطر أبدا إلى دفع قيمة التأمين. ونحن نذكر أن أسخيلوس قد مات عندما سقطت على رأسه سلحفاة من منقار نسر كان طائرا بها"

مشيع رائع

عاش في إنجلترا في أوائل القرن التاسع عشر رجل تلخصت متعته في تشييع الجنازات، وكان عندما يسمع بموت أحدهم، يبادر بمقابلة "الحانوتي" للاتفاق معه على إجلاسه في عربة الفقيد بجوار التابوت، وقد توفي صديق الأموات الصدوق، من فرط إخلاصه لهم، في أثناء إحدى هذه الجلسات، مختنقا قبل وصوله إلى القرافة.

فن البصمة

يلجأ الرسام البريطاني سلفاتوري فيومي إلى طريقة غريبة لتوقيع لوحاته؛ فهو يبصم على اللوحة ولا يوقع عليها بإمضائه، ويقول سلفاتوري:

- إنني لا أريد بعد وفاتي أن يقلد المزيفون لوحاتي ويزيفوا إمضائي، ولذلك فإني أبصم على اللوحة بعد انتهائها بطريقة خاصة لا يمكن تقليدها.

جثة تعود للحياة

أثارت جثة عجوز في شيلي "٨١ عاما" حالة من الفزع بين أقاربه وأصدقائه الذين جاءوا لإلقاء نظرة الوداع الأخيرة على الرجل الذي اعتقدوا أنه فارق الحياة، وفوجئ أقارب الرجل الذي كان راقدا داخل تابوته ذي الغطاء الزجاجي بالمتوفى وهو يفتح عينيه. وذكرت صحيفة "أولتيماس نوتيسياس" أن الرجل الذي يعيش في مدينة أنجول الصغيرة التي تقع على مسافة نحو ٦٥٠ كيلومترا جنوبي العاصمة سانتياجو فتح عينيه الواحدة تلو الأخرى ثم بدأ بتحريك شفتيه.

وكانت جارة الرجل هي التي أعلنت وفاة جارها الأعزب الذي يعيش وحيدا دون أن تلجأ للطبيب، ودافعت الجارة ٨٣ عاما عن تشخيصها وقالت للصحيفة: "كيف يمكن للمرء أن ينام بهذا العمق؟ لقد كان الرجل باردا جدا وجسده متصلبا".

وأخرج أقارب المتوفى العائد للحياة الرجل من التابوت وأعادوه إلى منزله ووضعوه في سريره، ولم يتذكر الرجل أي شيء من تفاصيل ما مر به ولم يطلب سوى كوب من الماء.

التعدي على شواهد القبور

استعادت شركة متخصصة في حفر الشواهد الرخامية للقبور في

مدينة سبرينغفيل بولاية يوتاه الأميركية شاهدا رخاميا عن قبر بعد أن فشل أصحاب المدفن في دفع ثمنه، وكانت عائلة برادي كونغر دفعت مبلغا مقدما لتغطية قسط من تكلفة الشاهد الرخامي الذي وضع على قبره غير أنها لم تدفع الأقساط الباقية.

وذكرت صحيفة "سالت لايك تريبيون" أن شركة "ميموريال أرت مونومنتس" استعادت اللوحة الرخامية بعد أن فشلت مرارا في الاتصال بعائلة كونغر التي تدين لها بالمال. وقال روري كونغر والد برادي أن زوجته كانت مذهولة بشدة لموت ابنها لدرجة أنها نسيت تسديد المبالغ المتوجبة

ولدته بعد وفاتها بتسعة أسابيع

أغرب ولادة تمت في ولاية لوس أنجلوس الأمريكية، حيث تمت ولادة طفل بعد وفاة أمه بتسعة أسابيع، فقد توقف عقل الأم عن العمل، بينما ظل قلبها ينبض عن طريق ضخ الدم والأكسجين صناعياً، وقد أصر الأطباء على أن ينمو الجنين داخل رحم الأم أطول فترة ممكنة حتى ينمو طبيعياً، وولد الطفل بعملية قيصرية، ثم أوقف الأطباء بعد الولادة مباشرة الضخ الصناعي للقلب وأعلنوا عن وفاة الأم، وأكد الأطباء أن هذه هي أطول فترة يعيشها جنين داخل رحم الأم بعد وفاتها إكلينيكياً، حيث كانت أطول فترة سجلت من قبل هي ثلاثة أسابيع.

دفن الأموات في القمر

قالت شركة "سيليستيس" الامريكية أن القمر قد يصبح مقبرة لبعض الناس بفضل الرحلات التجارية التي تأمل أن ترسل رماد الموتى إلى سطح القمر على متن مركبات آلية. وأضافت الشركة – التي نالت الريادة بإرسالها رفات جثث عقب حرقها إلى الفضاء على متن صواريخ – أنها ستبدأ خدمة إرسال رماد الموتى إلى سطح القمر ربما في العام المقبل. وستبدأ التكلفة من عشرة آلاف دولار مقابل إرسال كمية قليلة من رماد متوفى واحد.

وقال تشارلز شافير رئيس شركة سيليستيس أن شركته توصلت إلى اتفاق مع شركة "أوديسي مون" المحدودة، ومؤسسة "أستروبوتيك" للتكنولوجيا لوضع كبسولات تضم بقايا جثث محترقة بمركبات آلية تهبط على سطح القمر. وأكد أنه يتوقع إطلاق نحو ألف كبسولة تحوي رمادا في أول مهمة إلى القمر من المتوقع إطلاقها أواخر عام **٢٠٠٩** أو أوائل **٢٠١٠** ونحو خمسة آلاف في رحلات مستقبلية. وأضاف قائلا: "القمر مكان خاص" مضيفا أن ستة أشخاص على الأقل وقعوا عقود الحصول على هذه الخدمة.

تليفون لمحادثة الأموات

قام الألماني يورغن بروثر، وبعد أن أراد البقاء على اتصال بوالدته الراحلة، باختراع نظام هاتفي بدأ في بيعه بالفعل، ويتألف من هاتف يدفن

إلى جانب المتوفى ويبعث برسائل صوتية إلى القبر لفترة تستمر عاما، وقال بروثر إن اختراع الهاتف الذي أطلق عليه "الملاك الهاتفي" نبع من رغبته في التحدث مع والدته التي توفيت عام ١٩٩٨ والتي يرغب في قول الكثير لها. وأضاف أن الشخص يستطيع الاتصال بالميت حتى في منتصف الليل عندما تكون أبواب المقبرة مغلقة مضيفا أن الصوت الذي يولده الهاتف لا يمكن سماعه من قبل من يقف عند القبر، وقد تمكن حتى الآن من بيع ثلاثة من أجهزة الهاتف بقيمة ١٩٤٠ دولار للجهاز الواحد، وتعمل تلك الهواتف ببطاريات خاصة لمدة عام وتبث نحو ٢٠٠ ساعة من الرسائل الصوتية. وبعد مرور العام يستطيع أصحاب الهواتف إعادتها واستعادة نحو ٦٥ دولارا أو إعادة شحنها لتعمل عاما آخر مقابل نحو ٩٠٠ دولار. ويزعم بروثر "٦٤ عاما" أنه يستخدم الهاتف من وقت لآخر للتحدث إلى والدته حتى بعد ست سنوات من موتها ليبلغها بالأنباء التي تهمها.

علاج الأموات

في صقلية، حتى الأموات يتم علاجهم، أكثر من ٥٠,٠٠٠ متوفى أسماؤهم موجودة دائما في دفاتر العلاجات على مستوى الضمان الاجتماعي، وتدفع تعويضات لهؤلاء المرضى "الموتى". تحقيق للمصالح المالية كشف أن ٥١,٢٨٧ شخص متوفى، ربما بعضهم أكثر من ٢٠ سنة، مسجلين فعليا كمرضى لدى الضمان الاجتماعي. ما يقارب من ٢١,٠٠٠ مسجلين على القوائم الطبية "لباليرمو". من هذا المنطلق،

هؤلاء الموتى يتلقون شهريا تعويضات تقدر ب ٥ يورو للمريض "الميت".

خسارة صندوق الضمان الاجتماعي قدرت بأكثر من ١٤ مليون يورو. الأطباء عليهم استرجاع هذه المبالغ مرة واحدة، في أجل قبل أعياد آخر السنة، وقد عبر هؤلاء الأطباء عن استيائهم، قائلين: "كيف لنا أن نراقب كل هؤلاء... ؟" مع العلم أنها ليست الفضيحة الأولى في هذه المدينة؛ ففي عام ٢٠٠٧ اكتشفت الشرطة عملية احتيال مماثلة وقدرت خسارتها – آنذاك – للخزينة العمومية ب ٥ مليون يورو.

هذه العلاجات مخصصة للذين ليس لهم رعاية صحية، وتقدر ميزانيتها ما بين ١٢ و٢٠ مليار يورو سنويا، يتكفل بها صندوق الضمان الاجتماعي. ثمانية عقود طبية من عشرة موضوع شكوى جنائية.

خوف الأبطال

سئل بطل سباق السيارات الإيطالي "تازيو نوفالاري" عما إذا كان يخاف لدي استهلال السباق، فأجاب: "قل لي، ألا تخشى الموت وأنت نائم في سريرك؟.. أجل، إنك تخشاه. إذاً من أين تأتيك الشجاعة لتأوي إلى السرير كل ليلة؟".

بعد العاصفة

تقول روز كينيدي، والدة الرئيس الأمريكي الراحل جون كينيدي، عن مآسي حياتها، وقد بلغت الثالثة والتسعين: "لم أتخل قط عن إيماني

بأن الله تعالى لا يحملنا ما يتجاوز طاقتنا عن الاحتمال، ومهما يكن فهو يريد أن نكون سعداء، وإذا كانت العصافير تغني بعد ركود العاصفة، فلماذا لا نغني نحن أيضاً؟"

موت حصان

مات جوادنا المحبوب فنشرنا إعلاناً في قسم الإعلانات المبوبة في صحيفة محلية جاء فيه: "سرج جواد ولجام بـ ٤٥ دولاراً"، لكن الصحيفة أدخلت فاصلة خطأ في النص فظهر الإعلان هكذا: "سرج، جواد ولجام ب ٤٥ دولاراً." فانهالت علينا العروض لأن الثمن بدا زهيداً، ولم تكن ابنتنا سوسو تعرف شيئاً عن هذا الخطأ، وحين اتصل بها أحدهم هاتفياً دار بينهما الحوار الآتي: الزبون: "إني أتصل بكم بخصوص الإعلان الذي نشرتموه في الصحيفة. إنه ثمن زهيد جداً لجواد وسرج ولجام ما خطب الجواد؟" سوسو: "الجواد؟ آه.... مات."

دمعة واحدة

من أروع المنشآت التي أقيمت لذكرى الناس على سطح الأرض "ينبوع الدمع" في باخشيسراي في روسيا، فقد أقامه أمير من أمراء التتر ليعرب عن حزنه العظيم يوم ماتت أميرة بولندية كانت أسيرة عنده. ولم يزل هذا الينبوع يذرف دمعة واحدة كل دقيقة منذ ٣٠٠ سنة.

حكمة زنجية

قالت السيدة الأمريكية لخادمتها الزنجية: "إنني شديدة القلق على صحة والدتي" فقالت: "دعي الهم عنك يا سيدتي. إن جميع الناس ركب على سفر إلى القبر، فإذا سمحت للقلق أن يستبد بك، فكأنك تستحثين بالسوط جواد المركبة التي تحملك".

حرب وسلام!

رأى أحد رقباء البريد خلال الحرب العالمية في فرنسا، رسالة كتبها أحد الجنود إلى زوجته في الوطن قال فيها: "أوقفي هذه الرسائل المزعجة التي ترسلينها، ودعيني أتمتع بهذه الحرب في سلام!"

أخطاء الآخرين

كثيرًا ما نظل نتابع غيرنا ونهتم اهتماما شديدًا بأخطاء الآخرين بما نتمتع به من فضول! وهذا ما يجعلنا نموت قبل أن تتاح لنا فرصة التعرف على أخطائنا، ومن طريف ما قرأته عن هذا الفضول ما كتبته الصحفية البلجيكية "إلن فرايد" ونصه ما يلي: "حين مرضت أمي وهى في عقدها التاسع، رحت وأخواتي نتناوب على خدمتها وهي تنتقل من غيبوبة إلى أخرى. وذات صباح كنت نصف نائمة بجانب سريرها حين أيقظتني قائلة: "أتظنين يا عزيزتي أن الله يغفر خطايانا؟"

ونزل الدمع من عيني وأنا أطمئنها بقولي: "لا شك في أن الله تعالى

يغفر لنا خطايانا، ولكن ما الذي اقترفته يا أمي؟" وأطبقت ساعتها عينيها وقالت لي في حدة:" هذا ليس من شأنك."

الابن المثالي

بدأ لويس لاكاز من سكان باريس "١٧٩٩– ١٨٦٩" دراسة الطب وهو في السادسة والستين من عمره، فقط للعناية بأمه المريضة، وقد توفي بعد أن نال شهادة الطب ببضعة أشهر.

عادات غريبة

جميع المناسبات التي ينظمها شعب المرينا مثل الزواج ومبادلة الأرض وكذلك بيع وشراء الحيوانات والحصاد، تتم أمام الأموات وبشهاداتهم قبل أن تتم إعادتهم إلى مدافنهم.

تسلك بعض الشعوب والأمم طرقاً غريبة في التعامل مع موتاها، ففي كل سنة، يقوم شعب المرينا الذي يقطن جزيرة مدغشقر بإخراج الأجداد، والأقارب من قبورهم لإعادة تزيينهم من جديد وتغيير الأكفان الحريرية التي تحيط بهم.

يقول جون بيير موهين المتخصص في طقوس ومراسم الموت إن ما يفعله شعب المرينا بعيد كل البعد عن الحزن والكآبة، بل يغلب على هذه الطقوس الفرح والغبطة والروائح الطيبة.

ويسعى هذا الشعب من هذا العمل إلى إشراك الموتى في الحياة العامة، وطلب النصيحة منهم والمساعدة. والغريب أن كل المناسبات التي يفكر فيها شعب المرينا مثل الزواج ومبادلة الأرض "الشراء والبيع" وكذلك بيع وشراء الحيوانات تتم أمام الأموات وبشهاداتهم قبل أن تتم إعادتهم إلى مدافنهم. أما الشعوب المكسيكية والصينية وخاصة صينيو هونج كونج، فإنهم يقومون كل سنة بنزهة إلى مقابر أجدادهم، ولكن في أوقات مختلفة أي ليس في نفس التاريخ. ويجتمع صينيو هونج كونج في

اليوم التاسع من الشهر التاسع في التقويم الصيني في مدافن الأجداد، حيث يعتقد هؤلاء وفقاً للمعتقدات البوذية والطاوية أن أرواح الموتى يمكن أن تظهر غضبها ضد الأحياء، ولذا فهم يأتون لتنظيف القبور وتناول الطعام فوقها بغية تهدئة أرواح موتاهم.

وفي المكسيك يحتفل الناس في بداية شهر تشرين الثاني بعيد الأموات، حيث يتوافد الناس على القبور حاملين معهم الورود بكافة الألوان، لكن شريطة أن تكون الباقات مطعمة بالقرنفل البرتقالي الذي يعمل على جذب الأرواح الفقيدة، حسب اعتقادهم، وفي العادة تكون العطايا المقدمة للأموات عبارة عن طعام وخمر وعدد من أنواع الحلوى التي تتم صناعتها على هيئة هياكل عظيمة.

وتدخل في الاحتفال طقوس أخرى كالغناء والرقص الخاص على مدار الليل، ويعتقد المكسيكيون أن هذه الطقوس هي مناسبة لإعادة العلاقات المنقطعة مع أحبائهم الموتى وفرصة لتسليتهم في عالمهم المجهول.

وفي إفريقيا الغربية، وبالتحديد في غانا، يطلب الناس من النجارين أن يصنعوا لهم نعوشاً بكافة الأشكال والألوان كالطائرة والسمكة وحتى قارورة الكولا والهواتف المحمولة، وفي البداية ظهرت هذه الموضة على يد شعب إفريقي يسمى "ألجا"، ويعتقد هذا الشعب أن من الضروري لكل إنسان أن يرحل نحو العالم الآخر في المركبة التي تتناسب مع شخصيته بشكل أفضل.

وتجسد التماثيل الخشبية التي تقف عند حافة هذا الجرف أجداد

قبيلة توراجدا، وهي قبيلة مسيحية المعتقد تقطن في جزيرة سولاوسي الإندونيسية، والملاحظ أن كل وجه تم نحته وفقاً لوصف العائلة التي ينتمي إليها الشخص الميت، وتسهم هذه الوجوه في السهر على الأحياء ومراقبة تصرفاتهم حتى يلقوا حتفهم، في حين أن الأموات الحقيقيين الذين يمثلون هذه الأصنام يرقدون تحت الشرفات في مقابر محفورة في الصخر، والمثير في الأمر أن عائلة الشخص الميت تقضي عشر سنوات في جمع المال للقيام بواجب العزاء وعملية الدفن والمراسم المتعلقة بذلك، حيث يجب على العائلة أن تذبح للميت عدداً من الخنازير والجواميس وتوزيعها على كل أهل القرية.

وإليكم هذه العادة الغريبة عند قبائل "الغالي" القاطنة في الكاميرون، حيث يقوم أعضاؤها بلف الميت بالقطن إلى أن يصبح شبيهاً بلعبة كبيرة، وكلما كان الشخص الميت مهماً في القبيلة، بالغ رجالها في لفه بقطعة من القماش القطني، ويقوم رجال القبيلة بتقديم الطعام للميت بعد إخراجه من المدفن ويقدمون له كذلك، وإن كانت امرأة، آنية مبرقعة بنقاط بيضاء دلالة على أنها تركت وراءها عدداً كبيراً من الذرية.

ومن العادات التي يتبعها الهنود في الديانة الهندوسية، حرق الميت بعد غسله بماء معطر من نهر الجانج، ثم يقومون بلفه بثوب محاط بالأطواق الوردية تمهيداً لحرقه. وبعد هذه العملية يقوم الأهل بجمع بقايا الرماد ثم ينثرونها في مياه الجانج، ويعتقد الهنود أن مياه هذا النهر تطهر جسم الميت وتجعله يتجسد في آخر "تناسخ الأرواح" ليحيا حياة أفضل

من التي عاشها سابقاً قبل الموت.

أما العادات التبتية في الدفن فأغرب من الخيال حيث يقوم الرهبان البوذيون بتقطيع جثة الميت إرباً إرباً إلى قطع صغيرة وهي عادة طبيعية في التبت، ثم يتركونها في العراء لتلتهمها النسور والطيور الأخرى لتحلق بها في السماء، ويعتقد التبتيون أنه خلال لحظات النزاع تترك الروح الجسد، ولذا يصبح الجسد لا قيمة له، فلماذا نتعب أنفسنا في دفنه، والواقع أن المسألة تتجاوز إرهاق النفس في الدفن، إذ يعتقد هؤلاء أن الأرض مسكونة بالكائنات والأرواح الشريرة، وعند دفن الميت فيها، فإنه من الممكن أن تغضب وتثور لأن الإنسان دنسها بالجثث.

المومياء شرف للميت

يعتقد أفراد قبيلة البابو الإندونيسية أن تحويل ميتهم إلى مومياء هو شرف لا يحظى به الكثيرون؛ فهم يعتقدون أن المومياء تقوم بحراسة وحماية الأحياء ومن عاداتهم أنهم يقومون بتقديم الزوار إلى مومياواتهم باعتبارها واحدة منهم وكأن صاحبها مازال حياً يرزق.

تحويل جثث الأموات إلى ماس في ألمانيا

يعتبر الماس من الحجارة الكريمة الأثمن والأجمل لما لها من بريق ساحر، ويستخرج هذا الحجر الثمين من المناجم التي تحتوي عادة على الفحم، إلا أن هناك من يريد استخراج الماس من جثث الموتى، وهذا ما يسعى اليه بالتحديد تاجر الألماس الألماني ميشيل هارو.

فمصنع **LifeGem Memorials** ومقره في قرية الك جروفر بولاية أليوس الذي يتعاون معه ذلك التاجر الألماني والذي جعل فكرة الدعاية لمشروعه تحت شعار: "من يريد أن تبقى ذكرى الراحل العزيز عليه إن كان إنسانا أو حيوانا دائمة لدى أحبائهم بتحويل جثثهم إلى الماس، يلبسه في يده" والمصنع يقوم بتدوير جثة الإنسان التي تحتوي كما هو معروف على كمية من الفحم تصل إلى ٢٠ في المائة من وزنه.

والعملية ليست معقدة بل تحتاج إلى أجهزة فقط، فبعد انحراق الجثة في فرن خاص لحرق الجثث تفصل كمية الفحم التي تنتج عن الحرق وتجمع وترسل إلى مصنع خاص في بنسلفانيا من أجل تنظيفها، بعدها يرسل هذا المسحوق النظيف إلى ألمانيا، وفي مختبر خاص بمدينة ميونيخ يسخن على حرارة تصل إلى حوالي ٣٠٠٠ درجة مئوية ليعرض بعد ذلك إلى ضغط تصل قوته إلى ٨٠ ألف كيلو، فعبر هذا الضغط تتجمع ذرات الفحم الذي ينتج عنها قطعة صغيرة من الماس، إلا أن المصنع يقوم بنفس العملية التي تقوم بها الطبيعة مع الفحم لتحويله إلى الماس وتدوم قرونا طويلة، لكن أسرع بحوالي مليون مرة.

ولقد نجح المصنع في أول تجربة له على الحيوانات، فمن جيفة خنازير تم صنع قطع الماس زرقاء وحمراء وصفراء، وتطلب الأمر أكثر من ستة أسابيع. ونجاح التجربة دفع بأحد الأغنياء الأميركيين إلى تطبيقها على زوجته التي توفيت قبل فترة فهو يريدها أن تصبح قطعة من الماس ليزين بها خاتمه وليتذكرها دائما. ونجاح التجربة على جثة المرأة قد يدفع

بأغنياء العالم إلى الامتثال بالرجل الأميركي الغني الذي دفع حوالي ٢٢ ألف يورو.

جوهرة للأبد

وتعرض أيضًا إحدى المؤسسات السويسرية التي تهتم بإجراء مراسم دفن الميت من الألف إلى الياء في موقع لها على الإنترنت، طريقة للخلود داخل جوهرة، حيث تعرض على أهل الميت أن يحرقوا فقيدهم إن رغب في ذلك، وأن يأخذوا رماده ويسخنوه حتى درجة حرارة تزيد على ألفي درجة مئوية ويعرضونها إلى ضغط عال جداً ليحصلوا في النهاية على حجر كريم أو جوهرة "ماسة"، خاصة إذا ما علمنا أن الماس عبارة عن كربون أصلاً، وهو ما يمكن الحصول عليه من الرماد، ويقول أحد العاملين في المؤسسة أن ٥٠٠ جراما من رماد الميت تكفي ليتحول إلى جوهرة خالدة.

مقتل راسبوتين

من الطريف أن الأمير الروسي فيلكس يوسوبوف، المقيم في الولايات المتحدة قد أقام دعوة على شركة كولومبيا للإذاعة والتليفزيون الأمريكية، يطالبها فيها بدفع مليون ونصف دولار كغرامة مالية. ويدعي الأمير الروسي المذكور أنه هو الذي أقدم على قتل راسبوتين عام ١٩١٦ ذلك الراهب الروسي الشهير، ويطالب بدفع هذه الغرامة لأن شركة كولمبيا قد عمدت إلى إخراج فيلم عن راسبوتين يصور مقتله على يد

هذا الأمير دون الحصول على موافقته المسبقة بهذا الصدد.

المعطف المميت

قُتل "جابيز سبايسر" من مدينة لايدن، بولاية مساتشوستيس الأمريكية، برصاصتين في ٢٥ كانون الثاني ١٧٨٧، في أثناء "عصيان الشاي" في ترسانة سبرنغفيلد. وكان يرتدي نفس المعطف الذي كان يرتديه أخوه دانيال الذي صرعته هو أيضًا رصاصتان قبلها بثلاثة سنوات، والعجيب أن الرصاصتين اللتين قضتا على جابيز، مرتا عبر نفس الثقبين اللذين أحدثتهما الرصاصتان اللتان قتلتا أخوه دانيال قبل ثلاثة سنوات!

ضريح الجمل

شُيد هذا الضريح في مدينة طيبا بالهند، وفوق المكان الذي دفن فيه جمل كان يحمل يوميًا إناء يجمع فيه الحبوب متنقلاً من باب إلى باب، للتصدق بذلك على الفقراء.

مات مرفوسًا

في إحدى القرى في جزيرة كورسيكا، رفس حمار "حماة" أحد الفلاحين، فقتلها، وعندما اقترب كاهن القرية من المأتم رأى جميع الفلاحين مجتمعون في المأتم؛ فهنأ الفلاح بقوله: لكم هو أمر مستحب أن يكون لدى المرء هذا العدد الكبير من الأصدقاء. فقال له الفلاح: "لا يغرنك ذلك يا أبتِ، لقد جاء الجميع لشراء الحمار".

سُئل أحد الصحفيين اليائسين: "ماذا تود أن يُنقش على ضريحك؟" فأجاب: "سأعود مباشرة".

وارث نفسه

كان فيليكس زيم فنانًا فرنسيًا موهوبًا، وقد عاش سنين طوالاً فوق قارب في إحدى البحيرات الضحلة في مدينة البندقية الإيطالية، حيث أقام مسكنًا على ظهر قارب شبيه بالخيمة، وكان يستخدمه محترفًا للرسم. وبعد أن اكتسب الشهرة والثروة من بيع لوحاته التي تُظهر طبيعة مدينة الجندولات المشرقة المشمسة، انسحب إلى منزل قديم في شارع لوبيك في باريس حيث عاش وحيدًا. وفي سنة ١٩٠٨ أعلن أقاربه كذبًا أنه توفي وكان عمره ٨٧ عامًا، وكانت ثروته على وشك الذهاب إلى أيدي أقربائه، في حين أنه مازال حيًا يرزق!

وعندما علم بذلك اتصل بالسلطات لنفي النبأ وسحب وثيقة وفاته، ليعود بذلك إلى صفوف الأحياء، ولكي يقف في وجه أقربائه الذين كانوا على وشك وضع أيديهم على ثروته الكبيرة، فأشار عليه محاميه أن يكتب وصية يكون هو فيها وارث نفسه، وتم ذلك بالفعل وسُجلت الوصية رسميًا، وعاش بعدها ثلاثة سنوات ينفق أمواله التي ورثها عن نفسه.

حكمة من السرطان

كتبت "هازل أندر" زوجة الدكتور فلوريد أندر عميد كلية الزراعة بولاية أيوا وثيقة إنسانية على شكل مقال قبل وفاتها في أبريل ١٩٥٥ وهي في سن الثانية والأربعين بعد أن علمت أنها مصابة بالسرطان وما تبقى لها قليل جدًا فقد استغلت تلك الأيام الأخيرة في أن تسعد كل من حولها، وتُعلم من يُصاب بنفس المحنة أن يجابه محنته ويستفيد بأيامه القليلة في إسعاد من حوله وتنفيذ ما بقي من أحلامه، وقد لاقت هذه الوثيقة نجاحًا كبيرًا عند نشرها في الصحف، وقد وجدوا في وصيتها أنها أبدت رغبتها في أن يوهب دخل هذا المقال كمنحة علمية لطالب في فن الصحافة يستحقها، وكأنها كانت تدرك أن مقالتها ستنجح وسيكون لها تأثيرها على الناس، وكتبت في نهاية المقال جملتها الأخيرة: "إن الموت يفتح الآفاق، ويُطلق العواطف من قيودها".

وقالت فيها "لم يدر بخلدي أبدًا أن أتساءل: لم أنا بالذات.. ولم لا إن السرطان يقضي على ضحاياه دون تميز. وأقسى ما في تقبل الموت بطريقة فلسفية هو إدراكي أنني عما قريب راحلة عن زوجي وأولادي الثلاثة الصغار في الوقت الذي يُخيل لي فيه أن نُصح الأم لأولادها هو ضرورة يومية يحتاجونها كالطعام والشراب، ولقد بللت الدموع وسادتي في عراكي مع هذا الشعور، وكانت الخطوة الكبرى التالية هي إزالة كل تفكير تحدوه رغبات المستقبل. لقد تناسيت مجرد التفكير في الخطط العائلية والمشروعات الشخصية وأحلامي، لأنني

علمت أن السعادة واطمئنان النفس بالنسبة لي ولأهلي سيتوقفان على الأمر الواقع وهو أن أعيش ليومي. هناك ما يُغري عندما ينقضي الوقت حثيثًا بأن نُزحم اللحظات الأخيرة بالنصح والمواعظ.. لكني لن أستسلم لهذا الإغراء فقد رددت على مدى السنين آرائي الفلسفية المحببة، وإني متأكدة أنها قد أصبحت جزءًا من قانون الحياة لأولادي. بقي علي فقط أن أقضي معهما تبقى في أجمل ذكريات من السعادة، وأن يمتلئ هذا البيت الصغير بالأصدقاء والمحبين. ليس عندي الآن ما آسف عليه فقد كانت حياتي غنية مليئة، أحببت كل لحظة من لحظاتها.. نعم سأكون في أيامي الأخيرة سريعة التقرب من الناس، فعندما يصير الموت على الأبواب تتفتح قلوبنا سريعًا وبسعة أكبر، وكم كان الحب يزداد كثيرًا لو أننا لم ننتظر الموت كي نطلق قدراتنا وعواطفنا من قيودها.. سأعيش يومي وكأنه آخر أيامي كما أفعل الآن".

احمل ما تشاء

كان جاك وويل صديقين حميمين، وكانا يعملان في زراعة الحبوب، وظل كل منهما منذ طفولته وفيًا للآخر، وعلى الرغم من أن الاثنين كانا يجيدان عملهما، فقد أصاب أحدهما الغنى والثروة، بينما ركب الثاني دين فادح نظرًا لأمراض أصابت أفراد عائلته، أنفق على علاجها الكثير، بالإضافة إلى ما كان يتمتع به من طيب قلب وسوء حظ، وفجأة مرض صاحبنا الفقير ومات. وبعد تشييع الجنازة بعدة أيام، زار الصديق أرملة صديقه، ووجدها تعمل في تصفية أوراق زوجها الراحل. فقالت له:

"تفضل اجلس يا ستروبل، ودعني أعد لك قدحًا من القهوة"، ثم مضت إلى المطبخ وهي تقول مبالغة في كرمها معه وهي مدركة مقدار صداقته وحبه لزوجها الراحل: "لو شئت أن تأخذ شيئًا من خصوصيات جاك لتحتفظ به كذكرى فلا مانع عندي".. ودخلت الأرملة إلى الحجرة بعد قليل وهي تحمل كوب القهوة فوجدت صديق زوجها يأخذ من جيب سترة زوجها الراحل آخر قوائم الديون التي لم يكن قد سددها قبل رحيله وقال لها:

"عزيزتي لقد قلت لي خذ ما تشاء من خصوصيات جاك، وأنا بذلك أستفيد من وعدك كما أنني واثق بأن جاك سوف يوافق على أن هذه الأشياء التي أخذتها لن تكون ذات نفع لك بأي حال من الأحوال"..

ثم خرج من المنزل بسرعة وهو يحمل ديون صاحبه.

الخلود في بطون الكتب

كتب الفيلسوف وليام جيمس "١٨٤٢. ١٩١٠" وهو واحد من مشاهير علماء النفس الأمريكيين في معرض حديثه عن الخلود، يقول: "إن عالم الكتب هو أعظم إنجاز صنعه الإنسان، هذا المخلوق العظيم الفاني، فلم يبق شيء خلد الإنسان كما خلدته كتبه؛ فالآثار تتهاوى، والأمم تنمو وتزدهر ولكنها لا تلبث أن تشيخ وتموت، وعصور النور تختفي وراء عصور الظلام، والأجناس تنقرض، وتقوم فوق قبورها أجناس

أخرى جديدة، كل هذا يحدث بينما نجد أن عالم الكتب تلك المجلدات الضخمة التي تحوي في بطونها كل هذه الأحداث التي مرت وتمر بالبشرية، باقية بعد ذلك حية شابة لا تهرم، ولا يتقدم بها العمر، وكأنها ولدت اليوم لتنقل لقلوب الأجيال الحاضرة ما كان يدور في قلوب ورؤوس الملايين الذين سبقوهم منذ قرون بعيدة مضت".

قرار حكيم

قررت إدارة إحدى المقابر رفع أسعار المدافن معللة ذلك بارتفاع أسعار تكاليف المعيشة.

لكي يحيا الأطباء

قال أحد الظرفاء: "إن ثلث الطعام الذي تأكله يبقيك حياً، والثلثين الآخرين يبقيان الأطباء أحياء"

جنازة مختلفة

على الرغم من أن الزوج كان سكيرًا وتافهًا، فقد أصرت أرملته على أن تهيئ له جنازة فخمة.. ووقف القس أمام التابوت وراح يعدد مناقب الفقيد وفضائله، فقال إنه كان زوجًا مثاليًا وأبًا كريمًا. وحينئذ التفتت الأرملة إلى ابنها هامسة: اذهب وألق نظرة على الميت. يبدو أننا سرنا في جنازة شخص آخر.

لماذا تسرق؟

قال المحامي للمتهم: أوضح للمحكمة كيف أخذت السيارة.

فقال المتهم: وجدتها أمام المقابر فظننت أن صاحبها قد مات.

لقطات إنسانية

زهور حمراء أنيقة

كانت فترة انتظار بين قطارين، في مدينة صغيرة، فراحت الصحفية البريطانية "جانيت جالو" تتجول في شوارِع المدينة حتى بلغت دكانا يبيع الزهور الحمراء الجميلة فدخلت لتشاهدها، ولاحظت أمامها غلاما ينتقي باقة من الزهور بعناية، ثم قال لبائعة الزهور: "أرجوكِ أن تكتبي على هذه البطاقة الاسم والعنوان، واكتبي عليها كلمة "عيد ميلاد سعيد يا أمي".

وخرج الغلام وهو سعيد بما يحمل فنظرت "جانيت" إلى البائعة ونظرت هي إليها فابتسمتا. وبعد ثلث ساعة كان القطار يسير بها الهوينى في ضواحي المدينة، وكانت تنظر من النافذة، فتبينت الغلام سائرا على قدميه ومعه الباقة التي تضم الورود حتى كان داخلاً من بوابة مقبرة ريفية صغيرة.

الممرضة والرسائل

قامت الممرضة "إرين دريل" بعناية غلام مقعد في الثامنة من عمره اسمه "فرانكي"، وذات يوم طلب منها أن تقرأ له رسالة جاءته من العمة "سو" فكانت الرسالة كأنها مذكرات تكتب يومية وإليكم نصها: "عزيزي فرانكي: سوف نهب كلانا اليوم إلى الحقل لننفض الحشرات عن نبات

البطاطس، فنأخذ عصًا ووعاءً، ونمسك الوعاء تحت الحشرات العالقة بالنبات، ثم نسقطها بالعصا، وقد كان بوسعنا أن نميت الحشرات بسم من السموم، فلو فعلنا وجاءت البقرة وأكلت ورقة لأصيبت بالتسمم. ومتى امتلأ الوعاء بالحشرات، بينت لك ما ينبغي أن نفعل"

وقد تحدثت أيضًا في الرسالة عن كلب ووصفت نزهة في الخلاء عند نهر القرية، وانتهت بقصة عن جنية طيبة ترسم صورًا لأجنحة الفراشات الملونة. أما "فرانكي" فلم تقع عيناه في يوم من حياته على العمة "سو"، ولكنه كان دائم التطلع إلى رسائلها وانتظارها، وكان يعيش مع الرسائل عيشة غلام من أبناء الفلاحين الأصحاء، يقفز فوق التل وحواجز المزارع، ويتسلق أشجار التفاح، ويجري في الحقول ليطارد الفراشات وكلبه يلحق به. وكانت الممرضة "إرين دريل" ذات يوم قريبة من القرية التي ترسل منها العمة "سو" رسائلها ففكرت بأن تزورها وتسعد فرانكي بأخبار هذه الزيارة، فدخلت إلى مكتب البريد وسألت ناظر المكتب عن "العمة سو" وهل يعرفها؟

فقال: عندنا امرأة أسمها "مس سو ريد" ترسل كل يوم رسائل كثيرة إلى صغار في المستشفيات.. ثم أشار قائلا: "ها هي قادمة".

فنظرت الممرضة في شغف فوجدت سيدة على كرسي متحرك، وهي تحرك العجلتين بيديها وتتقدم ببطء نحو مكتب البريد.. وهنا نظر صاحب مكتب البريد من خلف نظارته السميكة وهمس للممرضة: "لم تزل مس "سو ريد" مقعدة منذ كانت في الثانية عشر من عمرها، وليس

لها عمل سوى أن تكتب الرسائل، والله لا أدري أين تجد كل ما تكتبه.

كشف الحياة

كان "إدوررزو" يقف أمام دكان بقالة بالقرية عندما رأى دراجة مقبلة بسرعة وعليها سيدة عجوز شمطاء، وسرعان ما وقفت أمام الحانوت ونزلت من على الدراجة وجلست عند حافة شرفة، وأخرجت دفترا كبير وأخذت تقرأه بعناية. أخذ "إدوررزو" يتأملها بفضول وأخيرًا اقترب منها ليسألها لكنها بادرته وهي تشير إلى الدفتر بقولها: "مرضت مرضًا شديدًا في الشتاء الماضي، فصارحني الطبيب بالحقيقة وقال إنه يخشى أنه لا يمتد بي العمر سوى أسابيع قليلة، فوضعت يومها جدولا بالأشياء التي يجب أن أفعلها وأتعلمها قبل أن أموت"..

ثم ابتسمت ابتسامة عريضة، وهي تلوح بدفترها وقالت: "وهذا الدفتر يزداد يومًا بعد يوم حتى خُيل لي أنني سوف أعيش إلى المائة، وقد كان ركوب الدراجات أحد تلك الأشياء، وها أنا قد أتقنته اليوم"، ثم أخرجت قلمًا عريضًا وشطبت على سطر في الدفتر مكتوب فيه "ركوب الدراجات".

ذكرى خالدة

وفي مقالة للأديبة "ماري هاريسون نكلز" بعنوان "ذكرى خالدة" كتبت: "لم يكد ينقضي يومان على مأتم أمي حتى ذهبت لزيارة صديقتها المفضلة السيدة "ميبل بارتون"، وقد تركت أمي خلفها مبلغا لا يذكر من

المال لكنها تركت ثروة عظيمة من الذكريات الجميلة والصداقات الحميمة والأثر الطيب النافع، فقررت أن أصنع شيئًا لتخليد ذكراها بالمال الذي تركته، وذهبت إلى صديقتها لكي أسألها. فقالت "ميبل بارتون" في لهجة هادئة: "أود أن أروي لك قصة لعلها تعينك على ما تريدين: مات أبواي في حادثة، وكانا طبيبين، فجزعت أعظم الجزع وألح علي شعور بالوحشة والنقمة على الحياة، وذات يوم طلب مني أحدهم أن أزور "مسز فاريدي"، وهي عجوز مشلولة في الرابعة والثمانين من عمرها لا تبرح سريرها، فقد كانت أحد المرضى الذين تولى أبي علاجهم، فحملتني تلك الزيارة على أن أبدل نظرتي للحياة، وقد أخبرتني مسز فاريدي عن رعاية أبي لها وما كان يمثل لها من قيمة في حياتها وما ترك من أثر، فتقبلت كلامها في نشوة وزهو.

قالت: "ونحن إذا تقدم بنا العمر يا عزيزتي نحس بالوحدة والوحشة، وقد سبقني إلى الدار الآخرة معظم أصدقائي وأقربائي منذ زمن بعيد، وما خطر لي بال أن هناك نعمة في الحياة كالصداقة التي أنعم علي بها أبواك فقد كان أبوك يزورني مرة في الأسبوع مع أن بدني المتهدم لم يكن فيه مكان لعلاج طبيب، ثم كانت أمك تزورني كل ثلاثاء فتلبث عندي هنيهة يفيض منها النور المشرق على حياتي، إلى أن يأتي موعد زيارتها التالية. وكانت تجيئني بكتاب كل مرة لأنها علمت أنني أحب القراءة، وكانت تقرأ لي أحياناً وتنقل لي أخبارك وأخبار الأسرة حتى وجدتني أعرفك يا بنيتي حق المعرفة؛ فلذلك أريد أن أعطيك هدية

صغيرة فقد امتنع أباك عن أخذ أتعاب لعلاجي سنوات طويلة"

وقد أعطتني مس فاريدي مبلغ من المال "٤٥٠ دولارا" وطلبت مني أن يكون لها نصيب في أي عمل خيري أقوم به من أجل والديّ.

وقد اطلعت صديقة لي على هذا الحديث الذي دار بيني وبين مسز فاريدي فاقترحت علي أن أذهب كل ثلاثاء إلى المستشفيات ودور الرعاية لزيارة العجائز والشيوخ، كما كان يفعل والداي فهما لم تتوقف زياراتهما على مسز فاريدي، بل كانا يفعلان ذلك مع كل المرضى من العجائز، وأن أحمل لهم الهدايا بتلك النقود. في البداية ذهبت لزيارة بعض أصدقاء والدي فوجدت من ترحيبهم بي ما أفاض الإشراق والسكينة على حياتي ثم أضفت إلى كشف زياراتي أباء ثلاثة من صديقاتي، فكان ذلك يسرهم.. وقد صار لي اليوم أصدقاء في ملجأ العجزة وهم مثل مسز فاريدي رجال ونساء تستبد بهم الوحشة، وقل في الدنيا من يزورهم أو يهتم بأمرهم. وقد أحمل أحيانًا بعض الهدايا إلى من أزورهم، وقد يكون ذلك مجلة أو قصاصة في جريدة تتحدث عن أحد أبنائهم، أو دفتر للصور أو سترة من صوف صنعتها بيدي، ولكني في أكثر الأحيان لا أفعل شيئًا سوى الإصغاء إلى حديثهم، وبعضهم يحدثني حديثًا فيه متعة ونفع وبعضهم لا يزال يتحدث عن ماضيه وحين أنظر في عيونهم الخاملة وكيف تتألق بسرعة حين أدخل عليهم وأحس فرحتهم بلقائي يُدخل كل هذا العزاء إلى نفسي، ويتجدد فيها ذكر أبويّ الحبيبين، وأشعر أنني أرضيتهما".

فلما فرغت مسز "ميبل بارتون" من حديثها تطلعت من خلال

الدموع المتحيرة في عيني فرأيت وجهها الحلو المطمئن يبتسم لي ثم قلت لها: "ما أجمل أن يصنع المرء ما صنعت، وهذا شيء كنت أتمنى أن تصنعه أمي أنا أيضًا". فقالت: "هو ما تقولين؛ فصديقتي التي اقترحت علي أن أصنع ما صنعت لم تكن سوى أمك أنت".

الموت في المجتمعات

يقول الدكتور "ألبرت سنتجورجي" أخصائي علم الأحياء والحائز على جائزة نوبل: يرجع الكثير من عدم الاستقرار في العالم إلى انقسام الجنس البشري إلى معسكرين ففي المعسكر الأصغر يموت الأفراد من التخمة، أما في المعسكر الأكبر فيموت الأفراد من الجوع.

وكما يقول الخبير الاقتصادي "سيدني هاريس" إن المعدة الخاوية هي أسوأ مستشار في العالم، ولكن المعدة تعمل كوزير خارجية لنصف سكان الكرة الأرضية في هذا العصر.

أكبر منها

أجابت الممثلة الإنجليزية "هيرميد جينجولد" على سؤال بشأن عمرها فقالت: "إن لدي ابنين كبيرين، أكبر مني سنًا".

أفضل له

يقال أن زوجة "كارل ماركس" لاحظت في نهاية حياتها الطويلة التي امتلأت بالكآبة والضيق أنه كان من الأفضل كثيرًا لو أن زوجها كارل ماركس كان قد جمع بعضًا من رأس المال بدلا من أن يكتب عنه كل هذا الكلام.

هدف لا يمكن إصابته

في أثناء معركة سبوتسيلفانيا في الحرب الأهلية الأمريكية، وقف الجنرال "جون سيدويك" محدقًا من فوق المتراس الذي يحتمي به أثناء قصف الأعداء لهم، فدعاه الضابط إلى إحناء رأسه حتى لا تصيبه إحدى القذائف، لكن الجنرال تجاهل تحذيراته فقال له ساخرًا في كبر: "هراء، إنهم لا يستطيعون إصابة فيل من هذه المسافة" وقبل أن يكمل جملته أصابته القذيفة.

الحياة بعد الستين

لا تحمل همًا إذا كانت السنون تمر والعمر يمضي بك دون أن تبلغ الشهرة التي تتمناها وتتطلع إليها. لقد قام بعض الباحثين بدراسة تاريخ حوالي ٤٠٠ من مشاهير الرجال وكان كل منهم أشهر سياسي أو فنان أو محارب أو مخترع أو شاعر في عصره، فتبين أن ٣٥ في المائة من أعظم أعمالهم قد تم وهو بين السبعين والثمانين و٨ في المائة تمت

بعد أن تجاوزوا الثمانين. وبعبارة أخرى فإن ٦٦ في المائة من الأعمال العظيمة في هذا العالم قد تمت بواسطة رجال تجاوزوا الستين.

الرسام رائد خليل

على شواهد القبور كان ينقش آيات العزاء وأسماء الراحلين، ناحتاً على الرخام بدايات موهبة بدأت خطواتها الأولى تخرج من المقبرة. يتذكر رسام الكاريكاتير السوري رائد خليل عندما كان طفلاً لم يتجاوز العاشرة، وساعتها لم يكن سوى الموت يحمل له الطمأنينة وهو يتكلم عن هذا قائلا: "كنت أفرح عندما أسمع أن شخصاً ما توفي، فهذا يعني أني سأنقش شاهدة قبره، وأقبض خمس عشرة ليرة سورية"

ينهي رائد جملته تلك، بابتسامة هازئة من عبثية الحياة، كما هي رسومه التي تغلف المآسي الإنسانية بسخرية مرة.

ماليزي يفشل في إثبات وجوده حيا

في كوالالامبور، وبعد عدة محاولات فاشلة، لم يتمكن رجل ماليزي من إثبات عدم وفاته للسلطات المعنية. وكان "مينجو مانج أناك" وطبقاً للسجلات الرسمية، قد توفي منذ أربع سنوات نتيجة لإصابات في رأسه، في مدينة بينتولو ودفن في الثامن عشر من يناير عام ٢٠٠٢ ولكن مينجو "٤٠ سنة"، يقول انه ما زال حياً ويحاول منذ سنوات إثبات ذلك. ويقول إنه اكتشف هذه الغلطة عندما ذهب لتجديد رخصة القيادة في ديسمبر، ومنذ ذلك الحين والسلطات تقول أنها رمت كل سجلاته الشخصية لأنه

إنسان ميت. ويضيف مينجو الأب لثلاثة أطفال أنه يواجه صعوبة في إيجاد عمل لأنه وفقاً للقانون شخص ميت ولا سجلات تثبت حياته.

له النار ولي الدار

مات أحد المجوس، وكان عليه دينٌ كثير، فقال بعض غرمائه لولده: "لو بعت دارك ووفيت بها دين والدك". فقال الولد: "إذا أنا بعت داري وقضيت بها عن أبي دينه فهل يدخل الجنة؟" فقالوا: لا. قال الولد: إذن فدعه في النار وآخذ أنا الدار.

لا تقطعوا اللطم عليه

ضاع لرجل ولد فناحوا ولطموا عليه وبقوا على ذلك أياماً، وصعد أبوه غرفة فوق السطح فرآه جالساً في زاوية من زواياها، فقال: "يا بني أنت حي، أما ترى ما نحن فيه من البكاء والحزن عليك؟" فقال الولد: "لقد سمعت كل شيء، ولكن لقد وجدت هنا بيض وقد قعدتُ مثل الدجاجة عليه ولن أترك مكاني حتى تطلع الكتاكيت منها"، فنزل أبوه إلى أهله وقال: "لقد وجدت ابني حياً، ولكن لا تقطعوا اللطم عليه."

تفاؤل

دخل أحد المغفّلين على مريضٍ يعوده، فلما خرج من عنده التفت إلى أهله وقال: "لا تفعلوا بنا كما فعلتم بفلان، لما مات تخبرونا، فإذا مات هذا فأعلمونا حتّى نصلّي عليه".

اللهم اجعل موتي من التخمة

مرت جنازة أمام أعرابي فقير، وسمع الناس يقولون: "كان موته بسبب التخمة". فسأل: "وما التخمة؟" فقيل له: "أكل كثيراً.. فمات". فقال: "اللهم اجعل موتي من التخمة"

هاروت وماروت

دخل أحد الأعراب على رجل يعزيه في أخيه الذي مات، فقال له: "عظَّم الله أجرك، وخلف لك طول العمر والبقاء في هذه الدنيا الفانية، ورحم أخاك وأعانه على ما يسأل من أسئلة الحساب التي يلقيها عليه "يأجوج ومأجوج".. فضحك الحاضرون وقالوا: "ويحك.. يأجوج ومأجوج يسألان الناس؟! فأجابهم: لعن الله إبليس.. أردت أن أقول: هاروت وماروت!.

يموت عطشاً

قال أحد الأعراب، وهو يعظ الناس: "يا معشر الناس إن الشيطان إذا سميّ على الطعام والشراب لا يقربه، فكلوا خبز الأرز المالح ولا تسمّوا، فيأكل معكم، ثم اشربوا الماء وسموا، فلا يشرب ويموت عطشاً".

النحوي يموت

صحب رجل نحوياً في سفر، فمرض النحوي، وأراد الرجل أن يفارقه، فقال له: "ماذا أقول لأهلك؟" فقال له: "قل صدعت رأسه،

وأوجعته أضراسه، ووهنت يداه، وتورمت قدماه، وأصابه ثقل في بدنه، ووجع في بطنه، وانحناء في ظهره، ولين في عظامه، ويبوسة في عموده الفقري، وريح بين وركيه ورمد في عينيه" فقال الرجل: "أليس أسهل من حفظ هذا كله أن أقول لهم مات".

برتراند رسل

كتب الفيلسوف والمؤلف البريطاني الذائع الصيت "برتراند رسل" الراحل يقول: "كلنا نعلم أننا سنموت في يوم من الأيام، والقسم الأكبر منا يتمنى أن يظل على قيد الحياة، لكن الجبان والمغفل فقط هو الذي يصرف وقتاً في التفكير في موته. "إن الرجل الذكي يهتم بصحته، يكتب وصيته ثم ينسى أنه ليس بإنسان خالد على الأرض."

زواج العباقرة

وهناك في التاريخ رجال أكدوا صحة الأفكار المطروحة عن زواج العباقرة فنجد "أناتول فرانس" عاش منفصلاً عن زوجته، و"هنريك إبسن" فعل مثله تماماً، وذلك لأن كلاً منهما وجد أن حياة العزوبية أكثر إنتاجاً من حياة الزواج، و"تولستوي" ختم حياته بمأساة حيث ترك منزله وفر من زوجته وأمضى ثمانية عشر يوماً في فراره إلى أن مات بإحدى القرى النائية، وكأنه يؤكد أن الحياة الزوجية لا تلائم العبقري

حجوزات المحاكم طالت القبور

حتى المدافن لم تسلم من حجوزات القضايا والمحاكم، حيث قضت المحكمة الألمانية العليا بمدنية كارلسروه لإحدى شركات نقش شواهد القبور بالحق في رهن النقش التذكاري الذي كانت قد نقشته ونصبته على قبر إحدى السيدات بتكليف من ابنتها وزوج ابنتها، وذلك بعد أن رفض الزوجان تسديد ثمن شاهد القبر الذي يقدر بـ١١٠٠ يورو، وطالبت الشركة الزوجين بدفع ثمن اللائحة التذكارية، لكن دون جدوى، مما دعا الشركة للتوجه للقضاء الذي حكم للشركة بالحق في الحجز على النقش التذكاري.

طموح في غير وقته

توفي "أوتنجر" المعاون الموثوق به أكثر من سواه لدى حاكم أحد الولايات الأمريكية في أثناء نومه، وكان الحاكم يعتمد عليه ويستمع بدقة لنصائحه في كل شاردة وواردة، وكل صغيرة وكبيرة، وإضافة إلى ذلك كان الراحل من أقرب المقربين إلى قلبه. لذلك كان من الطبيعي أن لا ينظر الحاكم إلى تهافت طالبي الحصول على وظيفته من الموظفين الطموحين، واغتاظ الحاكم من أنهم لا يتحلون بالأصول وينتظرون حتى أن يوارى المسكين في الثرى. وفي أثناء المأتم تقدم أحد الطامحين المتلهفين من الحاكم وقال له: "سيدي الحاكم، سيكون من وافر حظي أن تسمح لي أن أحل محل "أونتجر". فرد الحاكم بسرعة: "بكل تأكيد هذا يسعدني

جدًا.. ولكن عليك بالعجلة فالحانوتي لم يفرغ من عمله بعد".

ماتت عند قبرها عقب إتمامه

توفيت امرأة هولندية خططت بدقة لجنازتها عقب وفاة زوجها قرب قبرها في أمستردام، حيث رغبت في أن تدفن، وقالت صحيفة "دي تلغراف" أن المرأة الأرملة "٤٥ عاما" ربما ماتت بنوبة قلبية أثناء زيارتها مقبرة عائلتها حيث حفر اسمها لكن دون تاريخ الوفاة.

أضافت الصحيفة أن المرأة كانت تحمل حقيبة بها وصيتها حين توفيت وكانت قد فرغت بالفعل من تنظيم تفاصيل جنازتها بما في ذلك الموسيقى التي ترغب في أن تعزف أثناءها.

ضاقت بهم الأرض فدفنوا موتاهم في البحر

أعلن مكتب الصحة والرفاهية والغذاء في منطقة هونغ كونج الإدارية الخاصة أن الحكومة المحلية للمنطقة تعكف حاليا على دراسة إمكانية دفن الموتى في مياه البحر لمواجهة مشكلة تزايد تكدس جثث الموتى في الأرض حتى بات الأمر يشكل معضلة بالنسبة لأهالي هونج كونج في العثور على مكان لدفن رفات ذويهم.

وأوضح الدكتور يورك تشو مدير مكتب الصحة والرفاهية والغذاء في كلمة ألقاها أمام المجلس التشريعي: أن المكتب بدأ بالفعل في إصدار موافقات رسمية على طلبات الدفن في مياه هونج كونج لكنها لا تزال مقتصرة على رماد الجثث المحروقة ولا يزال يرفض استصدار أي

موافقات على دفن كامل الجثث في مياه هونج كونج رغم تلقيه أكثر من مائة طلب بهذا الصدد على مدار العامين الماضيين انتظاراً لإقرار تشريع من البرلمان.

القبض على الثعلب "حفار القبور"

تمكن حارسان باكستانيان لإحدى المقابر في رأس الخيمة بالإمارات من القبض على ثعلب جبلي كان يحفر بمخالبه بجانب القبور وفوقها.

وكان الثعلب "المعتدي" تعوّد على التسلل ليلاً إلى المقبرة، للقيام بعمليات الحفر، حسب شهادة أحد الحارسين اللذين أعدا خطة محكمة للإيقاع به، فنصبا له فخاً عبارة عن مصيدة حديدية، قاما بدفنها تحت الرمال ووضع فوقها قطعاً من اللحم لخداعه. وأثناء قدوم الثعلب ليلاً لاستكمال طلعاته اليومية توجه لالتهام قطع اللحم، فوقع في الفخ، وأمسك به الحارسان، حيث قاما بتسليمه إلى الجهات المختصة.

د. مصطفى مشرفة

دارت أبحاث الدكتور مشرفة حول تطبيقه الشروط الكمية بصورة معدلة تسمح بإيجاد تفسير لظاهرتي شتارك وزيمان. كذلك كان الدكتور مشرفة أول من قام ببحوث علمية حول إيجاد مقياس للفراغ؛ حيث كانت هندسة الفراغ المبنية على نظرية "آينشتين" تتعرض فقط لحركة الجسيم المتحرك في مجال الجاذبية، وقد درس مشرفة العلاقة بين المادة والإشعاع

وصاغ نظرية علمية مهمة في هذا المجال. وقد دعاه العالم الألماني الأصل ألبرت آينشتين للاشتراك في إلقاء أبحاث تتعلق بالذرة عام ١٩٤٥ كأستاذ زائر لمدة عام، ولكنه اعتذر بقوله: "في بلدي جيل يحتاج إلي.

توفي د. مشرفة في ١٦ يناير عام ١٩٥٠ بالسم وباتت ظروف وفاته المفاجئة غامضة للغاية، وكانت كل الظروف المحيطة به تشير إلى أنه مات مقتولا إما على يد مندوب عن الملك فاروق أو على يد الموساد الإسرائيلي، ولكل منهما سببه.

يذكر أن ألبرت آينشتاين قد نعاه عند موته قائلا: "لا أصدق أن مشرفة قد مات، إنه ما زال حيا بيننا من خلال أبحاثه".

استمتع بالأبدية فوق مارلين مونرو

عرضت أرملة أمريكية للبيع عن طريق المزاد مدفنا يقع فوق المدفن الذي يرقد فيه جثمان أسطورة الإغراء في السينما الأمريكية مارلين مونرو حسبما ذكرت مجلة "لوس أنجليس تايمز". ويقول الإعلان المنشور على موقع eBay الذي نشرته السيدة إلزي بونشر التي تقطن حي النجوم في هوليوود بيفرلي هيلز: "اقض الأبدية فوق مارلين مونرو مباشرة".

وقد بدأ المزاد بعرض مبلغ ٥٠٠ ألف دولار ثم وصل إلى ٧٠٠ ألف دولار. وتروي السيدة بونشر التي لا تعترف بعمرها المحدد لكنها تقر بأنها تجاوزت السبعين لصحيفة لوس أنجليس تايمز أن زوجها وهو

مقاول كانت له على ما يبدو علاقات وثيقة مع أوساط المافيا في شيكاغو اشترى القبر العام ١٩٥٤ من زوج مارلين السابق لاعب البيسبول جو ديمادجيو.

وأكدت الأرملة أن زوجها موضوع في القبر على بطنه وفقا لتمنياته.

وأوضحت بقولها عنه أنه: "قال لي: إذا توفيت ولم تضعني في وضعية مواجهة لمارلين سيلازمك شبحي إلى الأبد"، وتقول السيدة بونشر إنها ستنقل رفات زوجها من المدفن "لكي تتيح مساحة للساكن الجديد" في مقابر لوس أنجليس الخاصة في قرية ويستوود، وأنها تأمل في الحصول على مبلغ من المال يكفي لتسديد قيمة الرهن العقاري لمنزلها الذي يبلغ ١,٦ مليون دولارا، والواقع في بيفرلي هيلز، وأوضحت أن أمنيتها أن تترك المنزل لأبنائها خالصا بدون أي ديون. ونقلت السيدة بونشر رفات زوجها إلى المدفن المخصص لها، بينما أوصت هي بحرق جثمانها بعد وفاتها.

لماذا تقرأ؟

فأجاب: عندما يؤلّف أحد العظماء كتاباً فإنّه يختزل فيه تجارب حياته كاملة، فعندما تقرأ كتاباً عظيماً فكأنك قد عشت حياة مؤلّفه، وعندما تقرأ الكثير من الكتب فكأنك تعيش ألف سنة أو يزيد، وإن ابتعدت عنها فإنك ستعيش حياتك فقط

"فليصفق الأصدقاء.. انتهت الكوميديا" بيتهوفن "١٨٢٧"

مع العواجيز

لبس رجل متقدم في السن قميصاً كتب على صدره:

"لا تضع ثقتك بأي شخص دون الثامنة والستين"

سرعة خاطر

كتب "ويلسون مزنر" ذات مرة رواية مسرحية، وظفر في إخراجها بمعونة من غنية عجوز، وفي أثناء التجربة سألها دون تروٍ عن عمرها، فجاءه الرد بارداً كالنصل اللامع: "ولماذا تريد أن تعلم؟" فأدرك "ويلسون" على الفور هول ما فعل، وأنجده خاطره السريع فقال:

"يا سيدتي العزيزة، إنما أردت أن أعرف العمر الذي تكون فيه المرأة في أوج فتنتها".

جنرال متطوع

دخل رجل كبير السن أبيض اللحية إلى مكتب التطوع في الخدمة العسكرية، فسأله الرقيب: "كم عمرك؟" فأجاب: "اثنتان وستون سنة". فقال له متعجبًا: "لكنك تعرف جيدًا أن هذه السن متقدمة جدًا لكي تتطوع كجندي". فتبسم العجوز وقال بهدوء: "ربما كان هذا صحيحا فيما يخص الجنود، ولكن ألا تحتاجون إلى جنرال".

لمحات شخصية

عند بلوغ الكاتب البريطاني الراحل "سومرست موم" سن الثمانين أقام احتفالا له بهذه المناسبة في أحد أندية لندن، وكان الاحتفال مهيبا ومؤثرا. وبعد تقديمه للحاضرين الذين صفقوا له طويلا وقف الكاتب القصصي يلقي خطابه. وبدأ خطابه بالتحية لمستمعيه، ثم تردد برهة قبل أن يقول: "هناك مزايا كثيرة تتاح للمرء عندما يتقدم به العمر مثلي".

وتوقف "موم" عن الكلام، ثم بلل شفتيه، ونظر حوله طويلا، وامتدت فترة صمته أطول من اللازم، ثم نظر إلى أسفل وأخذ يتمعن في غطاء المائدة الموضوعة أمامه. وأصيب الحاضرون بقلق شديد وبدأوا يتساءلون: "هل هو مريض؟.. هل يستطيع أن يكمل خطابه؟".. وأخيرا نظر موم إليهم وقال:

- إنني أحاول أن أتذكر هذه المزايا.

ودوت القاعة كلها بالضحك والتصفيق الحار لسومرست موم.

ذاكرة العجائز

جلست ثلاث نسوة يتحدّثن عن مساوئ التقدم في السن، فقالت إحداهنّ: "عندما أفتح الثلاجة أحياناً، لا أذكر إذا كنت أريد أن أضع شيئا أو أن أخرجه"، واعترفت الأخرى: "هذا ليس همّاً بالنسبة لي؛ ففي أحيان أكون في أسفل السلّم، من غير أن أدري ما إذا كنت أودّ الصعود أو الهبوط" وانبرت الثالثة: "أشكر الله حفظ ذاكرتي حتى اليوم" وإذ

نقارة الخشب بيدها إشارة إلى الحظ السعيد، ثم قالت: "من ذا الذي يدق على الباب؟"

قبل مرضه!

جلس بعض الجنود الجدد من مشاة الأسطول يتبادلون الحديث بعد تمرينهم التمهيدي على ركوب البحر، وكأنهم من المحاربين الأشداء، وحاول أحدهم أن يشرك الجاويش في الحديث فسأله قائلاً:

- منذ متى تعمل في البحرية يا سيدي؟

فأجاب الجاويش:

- عندما التحقت بالأسطول، لم يكن البحر الميت قد أصيب بالمرض بعد!

تأكيد!

التقى الدكتور تشارلس مايو بسيدة عجوز تزعم أنها بلغت العام الثامن بعد المائة، ومع أن الجراح الكبير قد شك في ذلك، إلا إنه رحب بها في حرارة وقال لها:

- تهاني.. إنني آمل أن أراك في عيد ميلادك التاسع بعد المائة.

فأجابته العجوز باقتناع تام:

- سوف تراني بكل تأكيد؛ فإن أشخاصاً قلائل جداً يموتون بين سن ١٠٩ و١٨٠.

متى تتوقف المرأة عن الحب

سئلت البارونة "بوردت كوتس" وهي في التسعين من عمرها:

- متى تتوقف المرأة عن الحب؟

فأجابت: "اسألوا من هم أكبر مني سناً"

مساكين!

إن الأشخاص الذين ماتوا في عام ١٩٢٩ لم يسمعوا قط عن أشياء اسمها الطائرات النفاثة، وحاجز الصوت والسينما المجسمة، والثلاجات الكهربائية، والقذائف الموجهة، والرادار، والتليفزيون الملون، والخيوط الزجاجية، والأمواس الكهربائية، والأمم المتحدة، والخضر المجمدة، والقنبلة الذرية.. فيا لهم من مساكين..

حتى الجيل العاشر

معمر من الصين اسمه "آه – كواي" من مدينة كانسو رأى بعينيه أحفاده حتى الجيل العاشر، فقد عرف ابن ابن ابن ابن ابن ابن ابن ابن ابن ابنه، وقد عاش في عصر "السعادة الذهبية" وعندما كان الإمبراطور الصيني آنذاك يبحث عن أسعد رجل في إمبراطوريته، قدموا إليه هذا الجد مؤسس الأسرة الكبيرة فقد كان له "١٣٠" حفيداً سنة "١٧٩٠".

المُدخن العجوز

تقدمت إحدى السيدات من رجل عجوز ضئيل الجسم كان جالسًا على مقعد شرفة منزله، وقالت له:

- لم يفتني أن ألاحظ كم تبدو سعيدًا، فما هو سرك الذي تعلمه لي لكي تكون حياتي مديدة وسعيدة مثلك؟

قال الرجل:

- حسنًا سأخبرك بالسر، أنا أدخن ثلاثة علب سجائر في اليوم، وأشرب الخمور، وآكل طعامًا دسمًا، ولا أقوم بأية تمرينات إطلاقًا..!

هنا دهشت السيدة وقالت له:

- هذا مدهش.. ما عمرك يا عماه؟
- ست وعشرون سنة!

قراقوش، وزوجة الميت

ذلك الوزير الذي تميز بالقسوة والغفلة في نفس الوقت، وكان قد اعتاد كل عام أن يتصدق على الفقراء بمال كثير، فلما انتهت أموال الصدقة لهذا العام، جاءت إليه امرأة باكية، وأخبرته أن زوجها قد مات الآن ولا تجد المال لتشتري به كفنًا له، فقال لها: أما الصدقة الخاصة بهذا العام فقد انتهت، ولكن في السنة القادمة تعالي إلينا، وسأعطيكِ كفنًا إن شاء الله.

القراءة عند القبور

أعطت امرأة إلى رجل يقرأ عند القبور رغيفا وقالت له: اقرأ آيات من القرآن عند قبر ابني، فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم "يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر" (سورة القمر آية ٤٨) فقالت له غاضبة:

- هكذا يُقرأ عند القبور؟

فقال لها:

- وماذا تريدين أن أقرأ لك برغيف واحد.. "متكئين على فرش بطائنها من استبرق" (الرحمن آية ٥٤) هذا لا يقرأ بأقل من درهم.

أشعار

قال الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه:

لما رأيت الشيب قد نزلا   وبان مني الشباب فارتحلا
أحسست بالموت فانكسرت له   وكل حي يوافق الأجلا
كم صاحب لي كان يؤنسني   أصبح تحت التراب منجدلا
لا يسمع الصوت إن هتفت به   ولا يرد الجواب إن سئلا
لو خلد الله، فاعلموا، رجلا   لخلد الأنبياء والرسلا

وقال آخر:

يا خاضب الشيب بالحناء يستره   سل الإله سترا من النار
لن يرحل الشيب عن دار يحل بها   حتى يرحل صاحب الدار

وكما قال الهيثم بن عريان النخعي:

ألا أنبيك   بآيات الكِبر
تقارب الخطو   ونقص في البصر
وقلة الطعم   إذا الزاد حضر
وتركي الحسناء   في وقت السحر
والناس يبلون   كما يبلى الشجر

قبر جبر

وتحدث الشاعر "أحمد مطر" عن صديقه السيد أحمد جبر، أحد المعلمين والأدباء العراقيين، الذي سافر إلى فرنسا ونزل فيها بمدينة صغيرة في الألزاس. وعندما مر على مقابر المدينة رأى شاهدا يقول: "هنا يرقد الكاتب الكبير فرانسوا أمانويل، توفي عام ١٩٣٥ عن عمر بلغ عشرين يوما". وعلى قبر آخر هذه العبارة: "هنا يرقد فلان الفلاني ولد عام ١٩١٧ ومات عام ١٩٨٥ عمره ثلاثة أعوام"، ومثل ذلك على بقية الشواهد في تلك المنطقة. استغرب الأديب العراقي من ذلك، وتساءل عن سر هذا التناقض، فقالوا له نحن في هذه المدينة نحسب عمر الإنسان بالأيام السعيدة التي قضاها في حياته. كل الأيام الأخرى نعتبرها هباء ومضيعة.

هز الرجل رأسه ومشى، وفي الفندق التفت إلى زوجته، وقال لها: "وصيتي إذا مُتّ أن تكتبوا على شاهد قبري: هنا يرقد جبر.. من بطن أمه للقبر"

وفي مقابر دمشق الواقعة في منطقة "باب الصغير" جنوب دمشق، لا بد أن نتوقف عند قبر الشاعر الكبير نزار قباني، وقبل أن نقرأ ما كتب على قبره، سنرى ما كتبه هو قبل وفاته على قبر أبيه توفيق، وقد وقعه نزار باسمه: "يا أبي.. يا أبي اجتمعنا حواليك، تَطلع تجد بنا أصداءك، لم تسعك الدنيا فكيف قبر، أن يواري تحت الثرى كبرياءك، هذه ميتة النسور تلفك، تجد الأرض والسماء وراءك"

أما الشعر الذي كتب على قبر الشاعر نزار قباني الذي توفي عام ١٩٩٨ والذي دفن قرب ضريح والده، وحفر على شاهده عبارة "فقيد الشعر العربي" وقصيدة كان قد كتبها نزار قبل أن يموت لابنه توفيق تقول: "أتوفيق كيف أصدق موت العصافير والأغنيات، وأن الجبين المسافر بين الكواكب مات، وأن الذي كان يخزن ماء البحار بعينيه مات، بأي اللغات سأبكي عليك، وموتك ألغى جميع اللغات".

على قبر ناجية

وكذلك في مقبرة بدمشق كتب على قبر سيدة اسمها ناجية: "لجأت إلى الرحمن ترجو عفوه، فتقبل المولى دعاء الداعية، نصبت ملائكة السما لقدومها، أبهى المباهج في الرياض الزاهية، وأتى البشير عن الإله مرددا، قال ادخلي في جنتي يا ناجية"

وكتب على شاهد قبر شاب: "يوم الوداع تسمرت أقدامي، جفت دموعي ثم ضاع كلامي، ماذا نقول وقد رحلت مبكرا، لم نرتو من نهرك المترامي"

وعلى قبر شاب آخر كتب: "قبر شاب عمره ما تهنا، خطفته أيادي المنية منا، كان فينا مثل الهلال، فلما صار بدر في تمامه غاب عنا"

وعلى شاهد قبر في بغداد يقول:

يا قارئا كتابي ابك على شبابي بالأمس كنت حيا واليوم في التراب

وكان غيرها أكثر دراميًا وسرياليًا يقول: "يا دود، يا دود! كل لحمي وعظمي وخلي بعيوني السود!"

وعلى مقبرة جماعية بالعراق كتبت هذه العبارة: "هنا تحت الأرض، ترقد بسلام، أرواح أزهقت، وكل ذنبها إنها ولدت عليها"

وعلى مقبرة في سورية: "لأنه لم يكن يركع إلا لله.. فقد استطاع أن يقف شامخًا أمام الجميع طوال حياته"

فقد أربعة

ومن المناسبات الأليمة لحالات الفراق هو الموت المفاجئ، وعادة ما تكون صعبة على الأب الذي فقد ابنته وأولادها الثلاثة في حادث سير أليم، وكتب على القبر الذي ضمهم جميعا: "فكيف لا أبكي وقد فقدت أربعة ابنتي فاتن وأولادها الثلاثة، ولست أرى في الأرض قاطبة أعز منكم يا ريم، رولى،عمر.. ناديتكم اليوم لا حس ولا خبر، فأين منكم ذوي الحس والخبر، غادرتم في القلب جرحا كلما هدأت آلامه اتقدت في القلب كالشرر، لو تسمحون جعلت الصدر متكأ، لرأسكم الطهر في الظلماء والحفر".

وكتب على جانب آخر من القبر "ضع فخرك واحفظ كبرك، واذكر قبرك".

عبد الحميد الديب

ومن شعراء السخرية أيضا الشاعر البائس" عبد الحميد الديب" الذي سخر من نفسه ومن حياته البائسة والفقر الذي لازمه حتى موته فكتب قائلا:

هـــام بـــي الأســـى والبـــؤس حتى كأني عبلة والبؤس عنتر
كـأني حـائط كتبــوا عليــه هنـا يـا أيهـا المزنـوق "طرطـر"

بيت أشعب

مر "أشعب" ومعه ابنه بجنازة خلفها امرأة تبكي تقول:

- الآن يذهبون بك إلى بيت لا فراش فيه، ولا غطاء، ولا ضيافة، ولا خبز ولا ماء.

فقال ابن أشعب:

- يا أبت، إنهم يذهبون والله إلى بيتنا.

الشاعر الذي قتله النقد

الشاعر الدكتور إبراهيم ناجي مؤلف قصيدة الأطلال الذي عاش في ضيق من أطلال النقد العنيف، وقد واجه نقداً عنيفاً عند صدور ديوانه الأول من العقاد وطه حسين معاً، ويرجع هذا إلى ارتباطه بجماعة أبولو، وقد وصف طه حسين شعره بأنه شعر صالونات لا يحتمل أن يخرج إلى الخلاء فيأخذه البرد من جوانبه، وقد أزعجه هذا النقد فسافر إلى لندن وهناك دهمته سيارة عابرة فنقل إلى مستشفى سان جورج، وقد عاشت هذه المحنة في أعماقه فترة طويلة حتى توفي في الرابع والعشرين من شهر مارس في عام ١٩٥٣.

العودة للحياة

في كل يوم يدفن ٣٥ شخصاً حياً بسبب اعتقاد الأطباء "أو حتى الأهل" بأنهم ماتوا فعلاً، وهذا الأمر لا يحدث في موزمبيق أو السنغال أو ساحل العاج، بل في الولايات المتحدة التي تتمتع بأفضل الكوادر الطبية في العالم، وحسب ما ذكرته صحيفة ذا أدفوكيت في لويزيانا "في ٢٧ مايو ٢٠٠٥" أن هناك شخص من بين كل خمسين شخصا يدفن حياً على مستوى البلاد.

وهذا الرقم استخرجته الصحيفة اعتماداً على معدل الأخطاء المشابهة "التي تم اكتشافها في آخر لحظة" ضمن متوسط حالات الوفاة اليومية في كامل الولايات، وتعترف الصحيفة أنها توسعت في هذا الموضوع بعد رسالة استلمتها من رجل يدعى مارك فولنجويث عمل في مجال الدفن طوال أربعين عاماً. وخلال هذه الفترة شاهد – على حد قولها – حالات كثيرة استفاق فيها الميت قبل دفنه بفترة بسيطة، وعاماً بعد عام أصبح على قناعة بأن "عدداً أكبر من المرضى دفنوا أحياء بدون أن يدري بهم أحد".

ويعود جزء كبير من المشكلة إلى التسرع في إعلان الوفاة بناء على مظاهر مرتبطة بالموت "كتوقف القلب لفترة قياسية أو التنفس لفترة طويلة".. ولكن حتى في هذه الحالة قد يظل المرء في حالة "وفاة سريرية" بحيث تبقى أعضاؤه الأخرى حية. وحين يعود القلب للخفقان والرئتان للعمل تتجاوب معهما بقية الأعضاء فيستيقظ الميت وسط ذهول الجميع.

ورغم عدم فهمنا الدقيق لكيفية عودة القلب للخفقان بعد التوقف؛ إلا إنها حالة منتشرة ويعرفها الأطباء جيداً. وهناك طبيب يدعى سام بارنيا أجرى دراسة مطولة حول هذا الموضوع فاكتشف أن عشرة بالمائة من الموتى يصلون إلى حدود الموت الحقيقي ثم يعودون مجدداً "حسب عدد يناير ٢٠٠٣ من مجلة New Dawn." وفي عام ٢٠٠١ قام الدكتور بم لمل بدراسة ٣٣٤ مريضاً مروا بهذه التجربة في مستشفيات هولندا واكتشف أن ١٨٪ منهم ماتوا سريرياً ثم عادوا للحياة مرة أخرى "حسب عدد أكتوبر ٢٠٠٣ من مجلة The Lancet الطبية..

هذه التقارير الغريبة تساندها حوادث كثيرة "نقرأ عنها بين الحين والآخر" حول أشخاص عادوا للحياة بعد وفاتهم.. ولو عدنا لتراث الشعوب لوجدنا كماً هائلاً من القصص والحوادث التي تصب في هذا الجانب؛ ففي روما مثلاً لا يتم دفن البابا قبل ثلاثة أيام من وفاته خشية أن يدفن حياً كما حصل لأحد البابوات في القرن الرابع عشر. وفي تراثنا الإسلامي يكفي العودة إلى الحوادث العجيبة التي أوردها الحافظ بن أبي الدنيا في كتابه "من عاش بعد الموت"

أما في العصر الحديث فأعلنت نقابة الحانوتية في لندن أنها أنقذت منذ تأسيسها حياة ٢١٧٥ شخصاً كانوا سيدفنون بالخطأ، وفي هامبورج أعلنت جمعية "المحاولة الأخيرة" أنها أنقذت حياة ١٠٧ أشخاص في الخمس سنوات الماضية فقط بفضل إبقائهم تحت المراقبة لثلاثة أيام "أخرى".. أضف لهذا هناك عدد كبير من المشاهير الذين

أنقذوا من الدفن خطأً مثل: رئيس الوزراء البريطاني درزائيلي، وعالم التشريح الشهير الدكتور ونسلو، والزعيم الإيطالي موسوليني أثناء طفولته؛ مما يجعلنا نتساءل عن النسبة بين "غير المشاهير"

على أي حال؛ مهما قيل عن ندرة هذه الظاهرة يبقى احتمال حدوثها "حتى بنسبة واحد إلى الألف" أمراً يثير الفزع ويستحق المراقبة والاهتمام

أغرب خمس حالات وفاة في التاريخ

(من موسوعة جينيس)

- في أحد الحقول المصرية تناولت أحد العاملات ماءً باردًا، ولكنها أصيبت بالذعر عندما لاحظت وجود بعض النمل في الماء، فأسرعت إلى المنزل وشربت مبيدًا حشريا، فحدثت لها تشنجات وتوفيت بالمستشفى.
- بدأ عامل البناء الإنجليزي 'أليكس ميتشل' الضحك بدون السيطرة على نفسه، وهو يشاهد مسرحية كوميدية تسمى "ذي غوديز"، وبعد نصف ساعة سقط ميتاً.
- في وارسو "بولندا" غضبت امرأة غضبا شديدا عندما أبلغها زوجها أنه سيتركها لدرجة أنها ألقت نفسها من نافذة الدور العاشر، وفي هذه اللحظة كان الزوج يخرج من المبنى، فوقعت زوجته عليه وقتلته وعاشت هي

- تعرض "هنري زيجلاند" من تكساس لإطلاق النار من شقيق محبوبته، ولكن الطلقة لم تصبه فقد أخطأ الأخ إصابة زيجلاند، واستقرت في شجرة قريبة، وبعد ذلك بعشرين عاما قام زيجلاند بنسف جذع الشجرة فانطلقت الطلقة وأصابته في رأسه فقتلته في الحال

- كانت أربع من المشعوذات في مدينة المكسيك يقمن بإعداد جرعة من خليط يستخدمنه في الشعوذة، ولكن أثناء قيامهن بغلي الخليط السحري من الأعشاب والأمونيا في مرجل، ماتت الساحرات الأربع بسبب الأبخرة المتصاعدة.

الوصية

أعجب الوصايا، وسخرية قبل الموت..

كم من أناس رحلوا عن عالمنا، وتركوا خلفهم وصايا غريبة، وإن دلت تلك الوصايا، "وخصوصًا وصايا الأثرياء منهم" فإنما تدل على آخر فرصة لتحكم الأموات في الأحياء، وهذا بالطبع لأنهم هم الذين يحتفظون بالقرار الأخير إن قُدر لهم أن يكتبوا وصاياهم قبل فوات الأوان.

وتعتبر أقدم وصية معروفة في التاريخ هي وصية رجل مصري اسمه "أواه" كتبها في العام ٢٥٤٨ قبل الميلاد. ومنذ ذلك الزمن كتب ملايين من الناس وصاياهم، لكن عددًا أكبر تخلف عن ذلك.. والسبب في ذلك هو شعورهم الداخلي بالتشاؤم من كتابة الوصية وإحساسهم بأنها تُعجل بما تبقى لهم من أيام، مثلما فعل الفنان بيكاسو حين أخذ محاميه يذكره بضرورة كتابة وصيته، وكان دائمًا يتهرب منه واعتبر هذا الأمر شيئا يدعو للتشاؤم.

وما يهمنا الآن هو تلك الوصايا النادرة التي تتمتع بروح السخرية ونتائجها الرهيبة. فالشاعر الألماني الشهير "هنريش هين" واحد من أشهر الشعراء الألمان، توفي عام ١٨٥٦ وكانت وصيته واحدة من أغرب وأطرف الوصايا التي عرفها التاريخ؛ فقد أوصى بكل ثروته لزوجته لكن

بشرط واحد وهو أن تتزوج شخصا آخر، وقد أوضح هين السبب في وصيته حيث قال "لكي يكون هناك شخص واحد على الأقل في العالم يأسف على رحيله".

وصية خبيثة

وهناك وصية تتسم بالخبث وضعها رجل ونصت على أن يوضع جثمانه بعد موته مباشرةً في الطابق العلوي من بيته، ويتجمع أقاربه المنتحبون على موته حول نعشه.. وحين اجتمعوا جميعًا في الطابق العلوي انهارت بهم أرض الغرفة فقتل منهم عدد كبير، فقد نشر هذا الرجل قبل وفاته الأعمدة التي تدعم أرض الغرفة، وهكذا بدلاً من أن يأخذ أمواله معه أخذ معه ورثته.

الجدة العجوز

كان الأديب بات مور يتحدث دائمًا عن جدته العجوز التي لم تنظر إلى نفسها كعجوز قط، قالت له يومًا:

"كل ما في الأمر أني عمرت أكثر من سواي".

علبة برينجلز

فريدريك باور هذا الشخص توفي وكان قد اخترع العديد من الأشياء من ضمنها البوظة المجمدة الخاصة بمتبعي الحمية الغذائية وزيت خاص للطهي، ولكن كان أكثر اختراع يفتخر به "فريدريك باور"

هو اختراعه وتصميمه لعلبة بطاطس برينجلز الأسطوانية؛ لهذا كانت وصيته أنه بعد أن يموت يجب على أقربائه أن يقوموا بحرق جثته ووضع رمادها في إحدى علب البرينجلز ومن ثم دفنها، يعني بالعربي يكفنوه في علبة برينجلز..

وهذا ما حدث بالفعل حيث قام أولاده بحرق جثته ووضع القسم الأكبر من رماده في علبة برينجلز كبيرة ودفنوها واحتفظوا بالبقية من رماده في علبة برينجلز صغيرة كتذكار.

وصية جبران

رغم ما عاشه الشاعر جبران خليل جبران من المعاناة والفقر والغربة إلا أنه في النهاية بلغ شهرة كبيرة في أميركا لم يبلغها أيّ من العباقرة معاصريه، ودرّت عليه كتبه أرباحاً طائلة، فنزعت منه طعم المرارة، ومن قلبه حرارة الشكوى. وتوفي ونقل إلى بلده "بشرى" حسب وصيته وقد أوصى بأمواله لأخته مريانا التي ساعدته أيام فقره، بما كانت تجنيه بإبرتها، وبريع كتبه لبلدته بشري.

وقد قال للأديبة مي زيادة قبل موته:

"لا لم أقل كلمتي بعد، ولم يظهر من هذه الشعلة غير الدخان...."

وردة لزوجتي يوميا

كاتب الكوميديا والإذاعي الأميركي الشهير جاك بيني الذي يعتبر أحد أهم نجوم السينما والتلفزيون في القرن العشرين توفي عام ١٩٧٤ عن عمر ٨٠ عاما، وكانت وصيته عجيبة حقا.

كان بيني متزوجا بالممثلة ماري ليفينغستون لمدة ٤٨ سنة، وبعد وفاته فوجئت بأن وردة حمراء تصلها كل يوم، واكتشفت بأن بيني أوصى في جزء من وصيته بإرسال وردة يوميا لزوجته بعد وفاته، وقد دفع مبلغًا كبيرًا لمحل الزهور في مقابل تنفيذ وصيته، وقد ظلت الورود تصل إلى ماري ليفينغستون لمدة تسع سنوات حتى رحيلها عام ١٩٨٣.

مكتبة تمنع المرأة من دخولها

ت. م. زينك محام أميركي معروف من ولاية أيوا الأميركية، توفي عام ١٩٣٠ وأوصى بأن تخصص كل ثروته من أجل إنشاء مكتبة، لكن بشرط واحد هو منع دخول المرأة إلى المكتبة. زينك أوضح في وصيته أن كراهيته الشديدة للمرأة نتيجة لتجربته الطويلة معها، وأنه توصل إلى هذا القرار بعد اطلاعه على عدد كبير من كتب الفلسفة والأدب.

ونفذت وصيته وتأسست المكتبة وكتب على المدخل لافتة كبيرة تقول: "يمنع دخول المرأة".

انثروا رماد جثتي في الفضاء

كاتب السيناريو والمخرج الأميركي الراحل جين رودنبيري هو مخرج مسلسل الخيال العلمي الشهير «ستار تراك» الذي تحول إلى أيقونة شعبية. توفي عام ١٩٩١ ولأنه كان مولعا بالفضاء كانت وصيته أن تحرق جثته وينثر الرماد في الفضاء.

بعد ٦ أعوام من وفاته تحققت وصيته، حيث عبّئ رماد جثته في كبسولة وأرسل عبر رحلة لمكوك الفضاء كولومبيا إلى الفضاء ونثر هناك، وقد لحقت به زوجته التي توفيت عام ٢٠٠٨ وأحرقت جثتها ونثر رمادها في الفضاء أيضا.

لا تنزعي الماس

بنجامين فرانكلين أحد الآباء المؤسسين للولايات المتحدة الأميركية، كان متعدد المواهب فقد كان كاتبا ورجل دولة وسياسيا ومخترعا اخترع بعض الاختراعات مثل مانعة الصواعق وموقد فرانكلين والنظارة ثنائية البؤرة. توفي عام ١٧٩٠ وكرمته الولايات المتحدة بطباعة صورته على العملة من فئة المائة دولار.

وقبل وفاته ترك وصية طويلة لتوزيع ثروته على أفراد عائلته، من أطرف ما جاء فيها أنه أوصى لابنته سارة بصورة ملك فرنسا لويس السادس عشر التي أهديت إليه وكانت مرصعة ب ٤٠٨ حجرا من الماس بشرط ألا تنزع سارة الماس وترتديه هي أو بناتها.

احرقوا الملحمة

ولد الشاعر الروماني الشهير فيرجيل عام ٧٠ قبل الميلاد وتوفي عام ١٩ قبل الميلاد. كتب ملحمته الشهيرة "الإلياذة" حتى وصلت إلى حجم ١٢ كتابا، وتعد من عيون الأدب العالمي. وهو على فراش الموت كانت وصية فيرجيل الأخيرة لتلاميذه "أحرقوا الملحمة"، لكن من حسن حظ الأدب العالمي أن تلاميذه لم يحترموا وصيته ونسخوها لتتحول إلى نص عالمي.

امنحوا زوجتي ثاني أفضل سرير

يوصف الكاتب والشاعر الإنجليزي الأشهر وليم شكسبير بأنه أهم كاتب باللغة الإنكليزية وأهم كُتاب المسرح على مر العصور. توفي عام ١٦١٦، وقبل أسابيع من وفاته كان يشعر بدنو الأجل فاستدعى محاميه وأملى عليه وصيته.

وزع شكسبير ثروته التي كانت مبلغا من المال ومجموعة من أطباق الفضة وسيفا وبعض الأثاث على ابنته وشقيقته وابن أخيه وحفيدته ومجموعة من أصدقائه، لكن أغرب ما جاء في وصيته تلك الفقرة التي خص بها زوجته "آن هاثاواي"، حيث أوصى لها بثاني أفضل سرير.

جنازة متواضعة

رغم وفاة الكاتب الإنجليزي تشارلز ديكنز عام ١٨٧٠ إلا أنه ما زال واحدا من أكثر أدباء العالم شعبية، وأعماله مثل "قصة مدينتين"

و"ديفيد كوبرفيلد" و"أوليفر تويست" لا تنسى.

في أيامه الأخيرة كان ديكنز يعاني من جلطة على فراش الموت، وكانت وصيته الأخيرة لعائلته تتعلق بجنازته، إذ طلب منهم أن تقام له جنازة بسيطة لا يتم الإعلان عنها ولا يرتدي فيها المشيعون الأوشحة السوداء وربطات العنق، وألا يقام نصب تذكاري أو تمثال. لكن الرجل الذي كان يحصل على كل ما يريد في حياته لم يجد من يلبي طلباته بعد موته.

وصية الرجل الصيني

ذهب شخص لزيارة صديقه في المستشفى، وبعدما تحدث معه سأله من هذا الذي يرقد على السرير معك في الغرفة؛ فقال الصديق هذا رجل صيني، فقال له حسنًا سأزوره هو أيضًا لأخفف عنه.

وبعدما جلس أمامه فترة أخذ الصيني يصرخ "شوكما شون هون جان يي ....." وأخذ الصيني يصرخ بصعوبة مكررًا نفس الكلمات؛ فتعجب الرجل وقال: "هذا الصيني يبدو أنه يموت الآن، وربما تكون تلك الكلمات التي يكررها بإصرار هي صيته"، فقال: "سأكتب تلك الكلمات بالعربية حسب نطقه فلا يوجد هنا أحد من أقربائه ليفهم وصيته".. وبالفعل بعد انتهاء الرجل من كتابة تلك الكلمات مات الرجل الصيني. وعندما جاء أهله ليأخذوا جثته أعطاهم الوصية، وسألهم عن مضمون الوصية فقالوا له وهم في شدة الغضب إن الصيني كان يقول:

"ابتعد.. ارفع قدمك أنت واقف على أنبوبة التنفس

مااااااء

"جون كيتس" الشاعر الإنجليزي "١٧٩٥ – ١٨٢١م" قال في وصيته التي تركها لصديقه الطبيب "براون" والتي كان أهم ما طلب إليه فيها أن ينقش على قبره هذه الجملة: "هنا يرقد إنسان كتب اسمه على صفحة الماء"

وصية مستحيلة

عندما جاء الموت الشاعر الإنجليزي "ألكسندر وولكوت" "١٨٨٧– ١٩٤٣ م" سأله صديق له عما يمكن أن يعمله لأجله.. قال له وولكوت: "أوصيك أن تعيد شبابي إلي"

- هنا نتوقف -

وصية فيلسوف

الفيلسوف اليوناني "ديوجنيس الكلبي" "٤١٢ _ ٣٢٣ ق.م" الذي كان يرى أن الدنيا مقلوبة، وأنها سوف تعتدل يوماً ما، فإذا حدث ذلك كان مستعداً لاستئناف البحث عن إنسان.. وكان قد اعتاد أن يمسك مصباحاً في وضح النهار لأنه يبحث عن إنسان. وعندما أحس باقتراب أجله، أوصى بأن يدفن واقفاً على رأسه.

وصية خطيرة

لما مرض أبو يعقوب المنصور الموحدي "حاكم الأندلس" المرض الذي توفي فيه أمر بإحضار شيوخ الموحدين ووجوه أهل بيته من صغارهم وكبارهم والأعيان من أهل خدمته، ودخل الجميع إليه وهنا ذكر وصيته وعيناه تذرفان دمعا قائلاً: "أوصيكم بتقوى الله تعالى وبالأيتام واليتيمة"

قال أبو محمد عبد الواحد: "يا أمير المؤمنين.. ومن الأيتام واليتيمة؟"

قال: "اليتيمة جزيرة الأندلس، والأيتام سكانها المسلمون، وإياكم والغفلة فيما يصلح بها من تشييد أسوارها وحماية ثغورها وتربية أجنادها وتوفير رعيتها. ولتعلموا أعزكم الله أنه ليس في نفوسنا أعظم من همها.

وصية في صندوق

رجل كتب في وصيته أن يأخذ أبناؤه صندوقًا أعده ووضعه في خزانة، وأن يحرقوا الصندوق أمام محاميه دون أن يفتحوه. وقد ظن الأبناء أن الصندوق يحتوي على أوراق خاصة، فأعدوا موقدًا وأشعلوا فيه النار ثم حملوا الصندوق المصنوع من الورق المقوى ووضعوه في النار، ووقفوا ينظرون إليه وهو يأكله اللهب وفي قلوبهم حزنٌ وانقباض، وإذا هم يرون الصواريخ متعددة الأشكال والألوان تتناثر في الفضاء، فقد كان آخر "مقلب" يدبره أبوهم الذي كان لا يكف عن الدعابة والمرح.

أصدقاء حتى النهاية

منذ سنوات بعيدة مات رجل لم يكن ينجب، وقد ترك خلفه رسالتين مختومتين بختمه، إحداهما باسم محاميه لا تفتح إلا بعد دفنه، والأخرى باسم رجل عهد إليه أن يتولى دفنه.. وقد تم الدفن وفقًا لوصية الرجل في الساعة الرابعة صباحًا، فلم يشيعه إلى مثواه الأخير سوى أربعة من أصدقائه، تحملوا على أنفسهم مشقة القيام مبكرًا والتعب من أجل أن يقوموا بواجبهم الأخير نحو صديقهم الراحل، لكنهم نالوا أجر ما فعلوه، إذ وجدوا أن الراحل قد أوصى بتوزيع تركته البالغة ٤٠٠ ألف دولار على الذين يشيعونه حتى يواريه التراب.

إعلان وفاة

توفيت زوجة أحد اليهود فذهب لينشر خبر وفاتها في الجريدة وطلب أن يدفع ثمن سطر واحد لنشر الإعلان.. لكنهم رفضوا لأنه لا بد من أن يدفع على الأقل مساحة خمسة سطور فنشر خبر الوفاة في الجريدة على النحو التالي:

"توفيت ليلة أمس المأسوف علي شبابها "سيلين عاذر" عن عمر يناهز التسعين وهي زوجة حاييم ليشع التاجر المعروف ويوجد بمحلاته أجود أنواع الأقمشة والبلاطي والبدل الجاهزة والقمصان بأسعار معتدلة، وهي شقيقة موسى ليفي الذي فقد ختمه وليس عليه ديون لأحد وسيجدد بدله فإذا ظهر فيُعد لاغيًا ولا يُعمل به"

وبعد الدفنة طالب أخوها بثمن الإعلان الذي نشره عن ختمه الضائع.

بعض الوصايا تفتح سجالاً من نوع خاص حول إمكانية وشرعية تطبيقها أو عدمه، ولهذا تكتسب صفة الوصايا العالقة.. وصايا مع إيقاف التنفيذ. إنها رغبات أصحابها المؤجلة التي يأتي عدم تنفيذها أولاً في مصلحة القراء وحدهم..

أكره الثرثرة

انتحر الشاعر والكاتب الدرامي والمفكر والمناضل فلاديمير ماياكوفسكي عام ١٩٣٠م عن عمر ٣٧ عاماً بعد فشله في حياته العاطفية، وخيانة الثورة لتطلعاته وتضحياته، وبعد النقد اللاذع الذي واجهه في الصحافة الأدبية. البعض يرى أنه أقدم على الانتحار بسبب منع السلطات الروسية سفره خارج البلاد للقاء حبيبته، هو الذي عاش علاقة عاطفية مضطربة مع "ليلي بريك"، أنهى حياته برصاصة موجهة الى صدغه، تاركاً ورقة كتب عليها:

"إلى الجميع هاأنذا أموت الآن، لا تتهموا أحداً، ولا تثرثروا، فالميت لا يحب الثرثرة".

في التراث الغربي تلعب الوصية دوراً مهماً في الكثير من الترتيبات الاجتماعية والعائلية والمالية التي تعقب الوفاة، وقد جمع الباحث البريطاني "ريتشارد ديس" مجموعة من الوصايا التي كتبت في العصور

السابقة وسأذكر منها الوصايا الأكثر طرافة وغرابة:

- النبيل الفرنسي الماركيز دي شاكليت أوصى في العام ١٢٨٠ أن يكون قبره في أحد أعمدة الكنيسة لكي لا يدوس السوقة والغوغاء فوق قبره في حالة دفنه في الأرض
- أحد القضاة الفرنسيين عاش حياة غريبة فقد مارس معظم نشاطاته على سرير أو أريكة، وقبل وفاته أوصى أن يدفن بالحالة أو الوضعية التي سوف يأتيه الموت فيها، أي على سريره ويدفن معه السرير والألحفة والأغطية والمخدات
- أحد أثرياء لندن أوصى بكامل ثروته إلى أكبر أبنائه، ولكن إذا سمح ذلك الابن لشعر شاربه أن ينمو فإن الثروة تنزع منه وتعطى لأبنه الآخر.
- رجل فرنسي أوصى العام ١٨٧٧ أن تستخدم شنطته الجلدية بدلاً من التابوت الخاشب لكي توضع فيها جثته عند الدفن، وذلك بسبب حبه لشنطته التي دارت معه حول العالم ثلاث مرات.
- أحد الأثرياء الإنجليز أوصى في العام ١٨٧٩ أن توزع أملاكه بعد وفاته بسبب كثرة ورثته على الذين سيقبلون الإقامة الدائمة في منطقة يوركشير، وعلى أن لا يقل طول أحدهم عن ٦ أقدام وأربع بوصات.
- المحامي الفرنسي الناجح جاك باسكال أوصى العام ١٨٨٨ بأن تعطى ثروته التي بلغت مئة ألف فرنك إلى مستشفى المجانين.
- الثري الأمريكي وليم فاندر بيك أوصى في العام ١٨٩٦ بكامل

ثروته لإحدى الآنسات لأنه كان معجباً بأنفها الجميل.

- المليونير النمساوي بنجامين ورنر بسبب خوفه من الظلام أوصى بأن يدفن في مكان مضاء، وأن يضاء كذلك تابوته بالأنوار الكهربائية.
- زعيم أوروبي أوصى في القرن الخامس عشر بأن يسلخ جلده بعد وفاته ويصنع من ذلك الجلد طبل لكي تبث أصوات القرع عليه الرعب في قلوب أعدائه.
- المليونيرة الأمريكية إيمي باكمان أوصت بثروتها لذكرى كلبها الميت، ولجمعية الرفق بالحيوان.. أما زوجها فقد تركت له دولاراً واحداً ولأبنها لا شيء.

هل جلست الأسرة في مجلس العزاء؟

وصايا مضحكة وغريبة

أحد الأثرياء الإيطاليين كتب في وصيته العام ١٤٦٨ أنه يمنع أقرباءه من البكاء في جنازته ومن سيبكي منهم سيحرم من الميراث، والقريب الأكثر ضحكاً سيرث النصيب الأكبر من التركة، ويجب أن تعزف الفرقة الموسيقية المصاحبة للجنازة الألحان السعيدة وأن تحمل التابوت دزينة من الصبايا الجميلات اللابسات الملابس الخضراء واللواتي يجب أن ينشدن الأغاني الفرحة والبهجة، وإذا أراد رجال الدين أو الرهبان أن يصاحبوا الجنازة فيجب أن يخلعوا الأردية السوداء ويلبسوا الملابس الملونة بألوان زاهية.

كثير مما ورد في وصايا الأدباء لم ينفذ، وأبرز رغباتهم التي أهملت "هي عدم النشر". في وصيته طلب الكاتب التشيكي فرانس كافكا أن تُحرق كل أعماله الأدبية غير المنشورة، وأن تمنع طباعة باقي أعماله الأدبية بعد رحيله، لكن صديقه ماكس برود لم ينفذ وصيته وأنقذ بمخالفته رغبة صديقه كافكا، إرثاً أدبياً غيّر خارطة الرواية العالمية، وكان العالم محظوظاً بعدم جرأة كافكا وإقدامه على حرق كتاباته بنفسه.

ليس كافكا الوحيد الذي أوصى بإتلاف ما كتبه بعد رحيله، فالروائي الروسي فلاديمير نابوكوف أوصى بحرق عمله الأخير غير المكتمل "أصل لورا" في وصية عادت إلى الظهور، بعد أكثر من ثلاثين عاماً من كتابتها، لأن آخر ورثته أعلن عزمه على تنفيذها، على الرغم من أنه هو نفسه الذي ظل طوال السنوات الماضية يروّج للرواية، باعتبارها ذروة ما كتب نابوكوف. لكن سرعان ما تراجع نجل الأديب عن قراره السابق بتنفيذ وصيـة والده وقرر عدم إتلاف مسودات الرواية الأخيرة "أصل لورا" إنما أعلن إصدارها قريبًا.

لنابوكوف الذي وافاه الأجل عام ١٩٧٧، روايات عدة من بينها: "لوليتا" و"دعوة للشنق" و"ماشينكا". أكد الأديب في حينها أن الرواية تكاملت في ذهنه ولم يبق إلا كتابتها، لكن المرض لم يمهله لتحقيق رغبته .

المعروف أن نابوكوف حرص على تنقيح كل رواية لتصل إلى الكمال برأيه، ورفض أن ينشر عملاً غير كامل بعد وفاته، وأوصى بأن

ترمى مسودات "أصل لورا" كافة في الموقد لتلتهمها النار، في حال عدم تمكنه من إتمامها قبل رحيله الأبدي. لكن أرملته فيرا يفسييفنا لم تجد الشجاعة الكافية لتنفيذ وصية زوجها، وتركت الأمر بعد رحيلها عام ١٩٩١ لنجلها دمتري الذي أعلن عام ٢٠٠٥ بأنه سيتلف الرواية.

عدم رضى الأديب عن إنتاجه الأدبي يدفعه إلى أن يوصي بعدم نشر ما كتب، فالروائي الروسي أنطون تشيخوف "١٨٦٠ – ١٩٠٤" أوصى بعدم نشر جميع أعماله، لأنه كان يرى أن الكثير من القصص التي كتبها لا تستحق النشر، إما لأنه كتبها على عجالة، أو بحثاً عن بعض روبلات من الناشرين كان يحتاج إليها، إلا أن أكاديمية موسكو خالفت وصية تشيخوف، ونشرت في الفترة الممتدة بين عامي ١٩٧٢ و١٩٨٣ جميع أعماله.

ومن كلماتهم الأخيرة

- كم من الأشياء تعلمتها منك أيها الإنسان، تعلمت أننا جميعاً نريد أن نعيش في قمة الجبل، دون أن ندرك أن السعادة الحقيقية تكمن في تسلق هذا الجبل.. عبر عما تشعر به دائماً، افعل ما تفكر فيه..
- لو كنت أعرف أن هذه ستكون المرة الأخيرة التي أراك فيها نائماً، لكنت احتضنتك بقوة، ولطلبت من الله أن يجعلني حارساً لروحك.

- لو كنت أعرف أن هذه هي المرة الأخيرة التي أراك فيها تخرج من الباب لكنت احتضنتك، وقبلتك، ثم كنت أناديك لكي أحتضنك وأقبلك مرة أخرى...
- لو كنت أعرف أن هذه آخر اللحظات التي أراك فيها لقلت لك: "إنني أحبك" دون أن أفترض بغباء أنك تعرف هذا فعلاً"

هل تبقى وصايا الأدباء، بوصفها "أمانيهم الأخيرة" معلقة ما بين كونها نصاً إبداعياً أخيراً للمبدع أو كونها مجرد كلمات تفيض برغباتهم الخاصة؟

ماركيز الأديب الكولومبي الشهير، صاحب الكلمات السابقة، ظهرت له وصيتان الى الآن، إذ كان قد اعتزل الحياة العامة عام ١٩٩٩م، بعدما اكتشف أنه يعاني من مرض السرطان. حينها أُذيع أنه كتب وصية، ليعود ويخرج من عزلته عام ٢٠٠٠م نافياً صلته بما سمي وصية له، ونشرت بعض مواقع الإنترنت نصاً آخر لماركيز أطلق عليه ما عُرف برسالة وداع من ماركيز إلى أصدقائه. أكد بعض المقربين منه أنها له – ومنها اقتطعت المقدمة السابقة – وفيها لا يوجد أي ذكر لأموره الشخصية أو إرثه الأدبي؛ هي عبارة عن نص أدبي يفيض بمشاعر إنسانية عامة.

وصية سيدة!

عض كلب إحدى السيدات فأسرعت إلى الطبيب الذي أخبرها بأنها على وشك الإصابة بداء الكلب، وطلبت السيدة قلماً وورقة وراحت تكتب، ومرت فترة طويلة؛ فتذمر الطبيب وقال لها:

– يبدو أن الوصية ستكون طويلة جداً.

وإذا بها تقول في استنكار:

– وصية؟.. إنني أكتب قائمة بأسماء الأشخاص الذين أرغب في عضهم.

بعيداً عن الإرث الأدبي

صاحب "لمن تقرع الأجراس" الأميركي أرنست همنغواي ابتعد عن ذكر أي شيء يخصُّ كتاباته، فجاءت وصيته لتختص بممتلكاته المادية. وعلى هذا فقد أوصى بأن يخصص منزله في مزرعة "فيخيا" للشعب الكوبي، الذي أحبه وعاش أفضل أيامه على أرضه، وليحولوا بيته ذاك الى متحف يضم كتبه وأثاثه ولوحاته وأدوات صيده البحرية وآلته الكاتبة وسريره ويخته. وطلب ألا يتم لمس أي شيء، وأن يبقى المكان للكوبيين يزورونه عندما يرغبون.

همنغواي الذي أحب كوبا، كان قد أعلن عام ١٩٥٩م أنه نصير للثورة الكوبية. وكما لو أن هذا النوع من الأدباء يدرك تماماً أن أدبه والأدب عموماً، هو بمجمله وصية للإنسان، ولهذا لا يقصرون وصيتهم في نص وحيد منفرد قد يكتبونه في نهاية أيامهم، بل يجعلونها تتسرب وتتغلغل في كل عمل يطلقونه، وفي كل عبارة ينطقون بها.. يقول همنغواي: "أعلم أن الحياة مأساة وأن ليس لها إلا نهاية واحدة. ولكن حين تحس أنك قادر على إيجاد شيء ما، وعلى ابتكار شيء يسعدك أن تقرأه، على أن تقوم بذلك يومياً، فإن هذا كله يمنحك من المتعة ما يعجز عنه سواه – وذلك هو

ما كان مني– وكل ما عدا ذلك فشيء عابر لا يهم أبداً"

أليست هذه وصية "غير مقصودة"؟

امرأة عرجاء وثرية من برشلونة أوصت بمبلغ "٥٠٠ فرنك" لكل أعرج يمشي في جنازتها!!

أوصت زوجة أمريكية اسمها مارى كوهيري بدولارين لزوجها بعد موتها يستخدم نصف هذا المبلغ في شراء حبل ليشنق نفسه به.

نعم تذكرته

كان المحامي يتلو وصية موكله الراحل العجوز، أمام جمع من أنسبائه وورثته الذين كانوا جميعًا يصغون باهتمام، قرأ الفقرة الأخيرة ومنها: "وبالنسبة إلى ابن أخي "راندولف" الذي كان يردد دائمًا أنني لن أذكره في وصيتي، فإنني أقول له "مرحبًا ياراندولف".

حانوتي: يقولون لمن يجهز الموتى للغسل والدفن حانوتي، وسبب التسمية أنه يستخدم الحنوط في تجهيز الميت، وفي الأساس كأُن يطلق عليه الحنوطي، ثم تحورت إلى الحانوتي.

ليس هناك من عقوبة إطلاقاً إذا جعلت الآخرين يموتون من الضحك "مثل صيني"

"الكتابة على شواهد القبور تعبّر عن الرسالة التي يود المرء قولها عن الحياة التي تركها.. "

"لا شك أن الكلمات التي تقال عن الإنسان بعد رحيله ما هي إلا ترجمة أعماله في كلمات بعد أن تطوى صفحات أيامه".

"لا تقل أنك تعرف إنسانا معرفة تامة قبل أن تقتسم معه ميراثًا".

"العاري من الفضيلة لا شيء يستره".

"وإذا كان من حق كل شخص أن يفكر، إلا أن الكثيرين يوفرون على أنفسهم عناء ذلك".

"لم يخبرني أبي كيف ينبغي أن أعيش لكنه تركني أرى كيف يعيش هو"

"الحانوتي: رجل يكسب رزقه بطلوع الروح"

"العطف: أكبر رأسمال مدفون لا يستخدمه العالم"

"لا تضع كل أحلامك في شخص واحد، ولا تجعل رحلة عمرك وجهة شخص تحبه مهما كانت صفاته"

"لا تعتقد أن نهاية الأشياء هي نهاية العالم؛ فليس الكون هو ما ترى عيناك"

"لا تقف كثيراً على الأطلال، خاصة إذا كانت الخفافيش قد سكنتها والأشباح عرفت طريقها. وابحث عن صوت عصفور. يتسلل وراء الأفق مع ضوء صباح جديد.. هذا الطائر العجيب الذي يغني أجمل ألحانه وهو ينزف.. فلا شيء في الدنيا يستحق من دمك نقطة واحدة"

"لا شئ أشجع من الحصان الأعمى".

"لا تحزن إذا جاءك سهم قاتل من أقرب الناس إلى قلبك، فسوف تجد من ينزع السهم ويعيد لك الحياة والابتسامة"

تلك إذا هي آخر كلماتي إليك: لا تخش الحياة، كن على يقين من أن الحياة تستحق أن نعيشها، وحياتك تستحق أن تعيشها، وسوف يساعدك هذا اليقين على إيجاد هذه الحقيقة.. "ويليام جيمس"

"رجل واحد يتمتع بالشجاعة يشكل أغلبية وحده.." "أندرو جاكسون"

يقول الأديب الكبير الرافعي: "إذا لم تزد على الدنيا شيئا، كنت زائدا عليها"

روي أن الحطيئة لما حضرته الوفاة قال: "لكل جديد لذة غير أنني وجدت جديد الموت غير لذيذ"

يقول أبقراط: "استهينوا بالموت فإن مرارته في خوفه.. الموت مسألة مملة وموحشة، ونصيحتي لكم هي أن تقطعوا علاقتكم به كليا".

"الطلاق هو الرصاصة الأخيرة في حرب بين زوجين". "الكاتبة الفرنسية سيمون دي"

عش حياتك

"النجاح هو أن تعيش بكامل طاقتك؛ فانهض واقتحم الحياة بابتسامة. لا تكن مجرد مشاهد في مباراة، أو تكتفي بالحضور إلى

المكتب. عش أوقاتك، تمتع بحياتك، تذوقها، شمها، تحسسها".

"عندما يقع فيل في مأزق، حتى الضفدع يستطيع أن يرفسه".

الصمت من ذهب

"طوبى لمن لا شيء لديه يقوله، ولا يقول شيئا".

"الابتسامة هي طريقة غير مكلفة لتحسين مظهرك".

"لقد سلبني الأقدمون أفضل أفكاري".

موت الحب

"الحب لا يموت قط من تلقائه، لكنه يموت لأننا لم نعرف كيف نفجر ينابيعه، والذي يقتله هو العمى والخطأ والخيانة"

"المدهش في الحمقى الشباب هو أن كثيرين منهم يعيشون ليصبحوا حمقى مسنين".

"المرء يتحمل المحن لأنها أمور طارئة تأتيه من الخارج. لكن العذاب الحقيقي هو ما يصيب المرء من جراء أخطائه".

"هناك أجزاء من السفينة لا تعوم وحدها، مثل المحرك والمروحة. ولكن حين تركب جميع الأجزاء معا، فالسفينة تعوم في الماء، وهذا يشبه الأحداث التي حصلت في حياتي، فبعضها كان محزنا والبعض مفرحا، ولكن حين جمعت صارت كالمركب الذي يتجه نحو هدف معين، وهذا ما يعزيني"

خيط رفيع يفصل بين صيد السمك والوقوف على الشاطئ كالأغبياء.

"أهدى طريق وأقصره يكفل لك أن تعيش في هذه الدنيا موفور الكرامة والشرف، هو أن يكون ما تبطنه في نفسك كالذي يظهر منك للناس"

"أريد أن يقول عني أولئك الذين عرفوني حق المعرفة أني كنت أقلع شوكة وأغرس وردة حيث أعرف أن الوردة ستنمو"

"تعلم أن تكون سعيدًا بمفردك، وإذا لم تنعم بصحبة نفسك، فلماذا تُبلي بها غيرك"

"عندما لا تعرف الميناء الذي تتجه إليه سفينة حياتك.. فكل الرياح سواء"

نصب تذكاري لأبطال الحروب من الحيوانات البريطانية

لندن في ٢٥ نوفمبر/٢٠٠٦ نال أغرب أبطال للحروب في بريطانيا منهم من مات بالفعل أو أصيب بجروح أو كان دوره فعالا، ولكن الغريب في الموضوع أنهم ليسوا من البشر؛ فمنهم أفيال وقرود وحشرات وغيرها وكان التكريم لشجاعتهم وولائهم ساعة القتال.

وسترفع الأميرة آن ابنة الملكة اليزابيث الستار عن نصب تذكاري في حديقة في لندن مخصص لتكريم الحيوانات والحشرات التي تحملت المصاعب مع القوات المسلحة البريطانية.

وقال مسئولون إن النصب التذكاري البريطاني لحيوانات الحرب هو تكريم تترقبه الأمة منذ فترة طويلة وترحب به لملايين الحيوانات التي خدمت وعانت من أجل بلادها. وسيكون من بين الحيوانات المكرمة حشرات الحباحب التي استخدمها الجنود لقراءة الخرائط أثناء تواجدهم في الخنادق في الحرب العالمية الأولى، كما يضم معلومات عن حيوانات من الدببة إلى القرود احتفظ بها الجنود لتجلب الحظ.

وأضاف المسئولون: سيكون هذا أكبر تكريم لشجاعة الحيوانات في بريطانيا حيث تتعرض الأمة كثيرا للسخرية بأنها تحب حيواناتها أكثر مما تحب أطفالها.

من التراب إلى التراب

لندن في ٦ نوفمبر.. تبحث قناة تلفزيونية بريطانية عن متطوع مريض في أيام عمره الأخيرة ليتبرع بجسده بعد الموت كي تصوره أثناء تحلله. وقالت القناة التي سبق أن بثت عام ٢٠٠٢ لأول مرة علناً في بريطانيا عملية تشريح أن البرنامج تم إعداده بالاشتراك مع متحف العلوم بلندن، وسيكون تجربة فريدة.

وقال مسئولون في القناة: نأمل أن يكون بمقدور الخبراء تعلم المزيد بشأن العمليات ذات الصلة وأن تساعد المعلومات التي جمعها المشروع خبراء الطب الشرعي في التحقيقات الخاصة بجرائم القتل. وسيقود ريتشارد شيفرد رئيس الجمعية البريطانية للطب الشرعي فريق

علماء يشرف على المشروع، وسيوضع الجثمان في مكان سري أثناء تصويره لصالح البرنامج الذي سمي مسبقاً "من التراب وإلى التراب".

سبعيني ماليزي يتزوج للمرة الثالثة والخمسين

كوالالمبور في ٧ أكتوبر.. دخل ماليزي في السبعين من العمر القفص الذهبي للمرة الـ ٥٣ متأبطاً يد مطلقته الأولى التي تزوج بها عام ١٩٥٧. وعلق قمر الدين محمد، ٧٢ عاماً مازحاً ها أنا أعود من حيث بدأت، ونفى الشيخ الماليزي بعد عقد قرانه الـ ٥٣ عن نفسه صفة زير النساء قائلاً: "لست رجلاً لعوباً، بل أعشق النظر للنساء الحسناوات". وتجدر الإشارة إلى أن أحدث زيجات محمد تمت باقترانه بخديجة الدين، ٧٤ عاماً، وهي أولى زوجاته قبيل بدء سلسلة الزيجات التي امتدت منذ ١٩٥٧ ومازالت فصولها تتوالى، وتزوج خلال تلك الفترة من ٥١ امرأة من بينهن إنجليزية وتايلاندية كانت الأوفر حظاً باستمرار حياتهما الزوجية على مدى عشرين عاماً، واستمرت أقصر زيجات قمر الدين لمدة يومين فقط.

وعبر قمر الدين عن سعادته البالغة لدخوله عش الزوجية مجدداً مع خديجة التي طلقها عام ١٩٥٨ بعد زواج دام سنة واحدة فقط، وبدورها، أبدت خديجة فرحتها العارمة بالعودة لقمر الدين لا سيما وأنها تعاني من الوحدة بعد وفاة زوجها الثالث.

قبره في بطن زوجته

بكين في ٣١ يوليو٢٠٠٧ حكم على سيدة بالإعدام في شمال الصين بتهمة قتل زوجها المقامر ثم طبخت وأكلت أجزاءً من جثته بحسب تقارير إخبارية نشرت أمس الجمعة. وأخذت تشانج شوتشن تضرب زوجها بالهراوة حتى الموت في أبريل الفائت بعد نقاش معه عن كيفية تركه لها دائما ليلعب لعبة الماهجونغ، وهي لعبة قمار شهيرة في الصين شبيهة بلعبة الدومينو.

وقالت التقارير أن المرأة قطعت جثته وطبخت قطعا منها ووضعت ما تبقى في وعاء، وقالت للشرطة: "كنت أريد زوجي دائما معي، ولذا أكلت جزءًا منه".

ابتلعت طاقم أسنانها

هانوي في ٢١ يوليو/٢٠٠٦ قال أطباء إن امرأة في جنوب فيتنام نجت من الموت عندما نجح الجراحون في إخراج طاقم أسنانها الصناعية من حلقها بعد أن ابتلعتها. وذكر طبيب أن امرأة تدعى تران ثاي تو فان تبلغ من العمر ٣٨ عاما قضمت طاقم أسنانها الصناعية إلى جزءين أثناء تناول وجبة خفيفة في منزلها، وقال الجراح إن جزءًا من الطاقم مكون من أربعة أسنان مثبتة على شريحة من الصلب انزلق إلى حلق المرأة التي نقلت بسرعة إلى المستشفى.

أضاف الطبيب: "لحسن حظها انحشرت الأسنان في مكان

مناسب فتمكنا من إخراجها بعد ١٥ دقيقة فقط قبل أن يلحق أي ضرر بالحلق"

تستيقظ في المشرحة

في بكين ذكر تقرير إخباري أن رضيعة استيقظت باكية في مشرحة أحد المستشفيات بغرب الصين بعد أربعة أيام من إعلان الأطباء وفاتها، وأصيبت الرضيعة في اليوم الرابع بعد ولادتها بنزيف دماغي وأعلن الأطباء وفاتها في لانتشو عاصمة إقليم جانسو الصيني.

وذكرت التقارير أن الرضيعة نقلت إلى المشرحة بعد توقف نبضها وتنفسها لكنها كانت في الواقع مصابة بغيبوبة عميقة أفاقت منها بعد أربعة أيام أمضتها بغير طعام أو شراب، وبحسب التقارير فإن أحد العاملين في المشرحة أصيب بالدهشة عندما سمع صوت بكاء الرضيعة وأعادها إلى المستشفى.

جليس أطفال يجلس

وفي برلين ٣٠ يونيو٢٠٠٧ قالت تقارير صحفية إن محكمة في كريفلد بألمانيا قضت بالسجن ١٢ عاما على جليس أطفال لجلوسه فعلا فوق طفلة عمرها عامان حتى فارقت الحياة. وكان الرجل الذي يبلغ وزنه ١٢٥ كيلوجراما قد مثل أمام المحكمة بتهمة القتل لجلوسه ثوان معدودة فوق الطفلة لأن بكاءها أثار أعصابه مع أن أهل الطفلة استأجروه أصلا كجليس لرعايتها.

يسمم جثة زوجته

قام رجل من تنزانيا بتسميم بقايا زوجته التي هاجمها أحد الأسود لاصطياد الأسد القاتل، وقد نجحت الخطة فقد قتل الأسد الذي التهم السم، فيما وعدت الشرطة باتخاذ الإجراءات المناسبة وطرق أكثر محافظة في قتل الأسود. وقالت مصادر الشرطة إنها ستبيد الأسود الحمراء التي أرعبت سكان القرى في منطقة ليندي الجنوبية، مشيرة إلى أن الرجل عندما وجد بقايا جسد زوجته قام بتسميم ما تبقى من جسدها لأنه كان متأكدا أن الأسد سيعود لالتهامه. وكان الأسد قد قتل المرأة والتهم نصف جسدها، إلا أنه عندما كان قد عاد لإكمال النصف الآخر كان زوجها قد سبقه إليها ووضع له السم في بقايا الجثة فمات أثناء تناوله للنصف المتبقي.

احتفال ملكي لدفن قلب لويس السابع عشر

بعد مائتي عام من سرقته وتنقله بين مدن أوروبا، يعود القلب المنزوع من صدر ولي عرش فرنسا، لويس السابع عشر المتوفى في العام ١٧٩٥، ليدفن إلى جانب رفات والديه، في احتفال ملكي تشهده الجمهورية الفرنسية. ومن المقرر أن يقام هذا الأسبوع بحضور أفراد من عائلات ملوك أوروبا، احتفال مهيب لدفن قلب لويس السابع عشر، الذي توفي في السجن وعمره عشر سنوات قبل قرنين من الزمان، وكان قلب الطفل الوريث للعرش الفرنسي قبل اندلاع الثورة الفرنسية، قد

انتزع من صدره، ليخُلل، ثم يُسرق ليعاد مجددا، وتجرى عليه العديد من فحوص الحمض النووي. وسيتم دفن القلب في مقبرة ملكية في شمال فرنسا تعود لكاتدرائية القديس دنيس، حيث يوارى الثرى إلى جنب رفات والديه الملكة ماري أنطوانيت والملك لويس السادس عشر، وتعتبر الاحتفالات المرافقة لدفن القلب من قداسات لراحة نفس الطفل، اعترافا رسميا ينهي قرابة ٢٠٩ أعوام من الشائعات والأساطير، وشكّ تاريخي أحاط بموت الطفل، بالرغم من إصرار بعض المشككين أن الغموض لم ينجلِ كليّا.

فعدد كبير من المؤرخين يصرّون على أن الوريث الحقيقي للعرش الفرنسي استطاع الفرار، وأن الطفل الهزيل الذي مات في زنزانة حقيرة هو بديل عنه، وقال الأمير تشارلز امانويل دو بوروبون دو بارميه، أحد أقرباء لويس السابع عشر الأحياء، اليوم العلم يثبت العكس فيما قال المؤرخ فيليب دولورميه إن لويس السابع عشر الذي فقد والديه بعد قطع رأسيهما، رمي في سجن باريسي لفترة ثلاث سنوات، معظمها في عزلة تامة وفي العتمة.

وبحسب قول دولورميه فإن الطفل مات جراء مرض السل في وقت ما من عام ١٧٩٥، ليتم دفن جثته في مقبرة عامة، إلا أنه وقبل عملية الدفن قام طبيب بنزع قلبه سرّا، عملا بتقليد ينصّ على نزع قلوب العائلات الملكية وحفظها مستقلة عن الجثث المدفونة. وقام الطبيب لاحقا بوضع القلب في إناء يحتوي كحولا، ليقوم أحد تلامذته بعد ذلك

بسرقته، غير أن السارق، وعلى فراش الموت، طلب من زوجته إعادة القلب المحفوظ بالإناء، للسلطات الملكية التي استعادت نفوذها عام ١٨١٤، ليتنقل الإناء بين أفراد الأسر المالكة ليحل أخيرا في الفرع الإسباني المنحدر من عائلة بوروبونز الملكية، وفي عام ١٩٧٥ قامت هذه العائلة بإعادته إلى باريس، ومنذ ذلك الوقت بقي القلب موضوعا في كاتدرائية القديس دينيس، دون الاعتراف به بشكل قاطع، ما عدا كونه قلب طفل توفي في سجن باريسي.

غير أن عالمين في جامعتين أوروبيتين قارنا بين فحوص الحمض النووي المأخوذة من القلب الفتي، وبين الحمض النووي المأخوذ من خصل شعر الملكة الأم ماري أنطوانيت عندما كانت طفلة في النمسا، لتتأكد صلة القربى بشكل علمي قاطع.

ثمانينية تخلع زوجها التسعيني لزواجه بأخرى

القاهرة في ٢٤ فبراير قضت محكمة الأحوال الشخصية بالقاهرة بتطليق زوجة يبلغ عمرها ٨٨ عاما من زوجها الذي يبلغ من العمر ٩٠ عاما بسبب زواجه من سيدة أخرى يبلغ عمرها ٧٧ عاما.

وقالت المحكمة أن للزوجة الحرية الكاملة في البقاء مع زوجها أو خلعه إذا أرادت بالرغم من استئذانه لها في الزواج من الزوجة الثانية، وكان العريس قد تقدم لجارته طالبا الزواج منها بالرغم من وجود ثمانية من الأبناء من زوجته الأولى و٢٣ حفيدا، ومع ذلك قرر الزواج منها والإقامة مع

زوجته الأولى إلا أن الزوجتين لم تتفقا على معيشة واحدة ونشبت بينهما خلافات ومشاجرات شبه يومية لوجودهما في عمارة سكنية واحدة.

وبانحياز الزوج للعروسة الجديدة وهجره الأولى وإقامته شبه الكاملة بشقة الزوجة الجديدة، قررت الأولى إقامة دعوى خلع ضد الزوج، وظلت الدعوى متداولة بالمحكمة التي طلبت محكمين من "أهل الزوجين" في محاولة للصلح بينهما، إلا أنهم فشلوا في إثناء الزوجة عن طلب الطلاق خلعاً، فقضت المحكمة بتطليق الزوجة الأولى خلعا بعد زواج دام لمدة ٧٠ عاما.

العروس الأرملة

باريس.. عقدت فرنسية في الخامسة والثلاثين من العمر هذا الأسبوع زواجها على صديقها المتوفى في حفل اقتصر على الأقارب والأصدقاء فيما غابت جثة العريس، الذي قضى نحبه في سبتمبر عام ٢٠٠٢ واتشحت العروس بالسواد عندما دخلت قاعة مجلس بلدية مدينة نيس لعقد الزواج، وذلك تكريسا للعهد الذي قطعته لصديقها الراحل، وقد تطلبت مسألة عقد الزواج إذنا خاصا من الرئيس الفرنسي جاك شيراك، بموجب القانون الفرنسي فإن العروس تعتبر هنا عروسا وأرملة في وقت واحد، وقالت العروس الأرملة: "قد يبدو مروعا للبعض الزواج من شخص قد توفي" مضيفة أن مشاعرها من الراحل لم تتغير

قبور تتكلم

كاليفورنيا.. ربما يستطيع الميت قريبا أن يتحدث من داخل قبره إذا ما تحول المشروع الذي أعده مخترع أميركي إلى واقع، فقد قدم طلبا لتسجيل براءة اختراع لشاهد قبر مجهز بالفيديو يعرض رسائل بالصوت والصورة من "صاحب القبر" بحيث أن الميت عندما يكتب وصيته يترك أيضا تسجيلا مصورا للوداع مع محاميه.

وسيتضمن الشاهد المتحدث شاشة مسطحة وجهاز كومبيوتر مزودا بذاكرة من الشرائح متناهية الصغر أو قرص صلب، وسيعمل شاهد القبر بتيار كهربائي يأتيه من نظام الإضاءة الخاص بالمقابر.

مقهى الحزن

بكين.. افتتح في الصين مقهى خاص يعبر فيه المرتادون له عن حزنهم بالبكاء، وتبلغ تكلفة ارتياد المقهى نحو ستة دولارات لكل ساعة. كما يوفر المقهى لرواده أيضا المناديل وزيت النعناع لتخفيف آلامهم عندما يجهشون في البكاء، ويقدم البصل والفلفل الأحمر لمساعدة الذين يرغبون في ذرف الدموع أكثر أو لا يستطيعون ذلك.

دفنته الدفاتر

القاهرة.. فوجئ مواطن مصري تجاوز الـ٥٧ عاما حينما ذهب إلى السجل المدني لاستخراج بطاقة الرقم القومي بأنه مقيد بالسجلات ميت

منذ أكثر من ٥٦ عاما. وتابع المواطن المصري بدهشة الموظف المختص وهو يقول له: "آسف أنت ميت وفارقت الحياة بعد ولادتك بستة أشهر"، وأطلعه على بيانات وفاته، وسارع "الحي فعليا الميت حكوميا" بجمع الأوراق الرسمية التي تثبت أنه حي، ومن ضمنها شهادة عمل في الحكومة، وقدمها إلى مكتب السجل المدني. وقد رفض السجل الاعتراف بكل هذا أمام وجود شهادة تثبت وفاته في الدفاتر والسجلات، مما اضطره في النهاية إلى تقديم شكاوى للمسؤولين المصريين لحل مشكلته.

أمس واليوم وغداً

سأل العالم النفساني وليم موتون مارستون ٣٠٠٠ شخصا:

- ماهو الشيء الذي تعيش من أجله..؟

وقد صُدم عندما وجد أن ٩٤% منهم كانوا يتحملون مرور الحاضر فقط في انتظار المستقبل. كانوا ينتظرون شيئًا يحدث، أو أطفالا يكبرون ويغادرون البيت، أو ينتظرون العام التالي، أو وقتًا آخر للقيام برحلة يحلمون بها منذ زمن بعيد، أو ينتظرون وفاة شخص ما ليرثونه، أو ينتظرون الغد، دون أن يدركوا أننا جميعًا لا نملك سوى اليوم، لأن الأمس قد مضى، وغدًا لن يأتي أبدًا.

قبور صديقة للبيئة

ابتكرت شركة تجارية قبوراً صديقة للبيئة مصنوعة من مواد قابلة للتحلل الطبيعي، وتشمل الخيارات التي تقدمها الشركة لزبائنها من

الأموات قبوراً مصنوعة من أعواد الخيزران المحشوة بالقطن أو من الألياف الطبيعية أو من الخشب العادي المحفور بطريقة يدوية، بينما أهمها تابوت "إيكوبد" المصنوع في بريطانيا من أوراق الصحف المعاد تدويرها. وأشارت شركة الدفن البيئي إلى أنها ستباشر العمل في الولايات المتحدة الشهر المقبل، مشيرة إلى أن أرباح قطاع الدفن ومراسم الموتى في الولايات المتحدة يبلغ ١١ مليار دولار سنوياً مع توقع زيادة مطردة في الأرباح بسبب حجم الشرائح العمرية المتقدمة.

ويأتي عمل هذه الشركة في وقت يعتبر فيه البعض أن إحراق الجثة لم يعد أمراً صديقا للبيئة، نظراً لما يتخلله من استهلاك للوقود، حيث تستبعد طريقة الدفن البيئية مجموعة من الممارسات التي تستخدم في المراسم الحالية لاسيما استخدام المواد الحافظة والأسمنت والمعادن وسواها.

وهذه الحماقة تذكرنا بالقصة الكلاسيكية العجيبة للسيدة البريطانية ماري باتن؛ ففي عام ١٩٧٨ تناقلت وسائل الإعلام قصة هذه العجوز الساذجة التي استلقت في فراشها لمدة أربعين عاما بناء على نصيحة الطبيب؛ ففي الرابعة والثلاثين من عمرها أصيبت بانفلونزا حادة فزارها أحد الأطباء وأمرها بالاستلقاء في السرير حتى موعد زيارته القادمة، إلا أن طبيبها مات فجأة في حين ظلت هي مستلقية طوال هذه الفترة بانتظار الأوامر الجديدة!

تولى أحمد بن طولون حكم مصر، وكان كريم اليد كثير العطاء وكان حسن الحيلة بارع التدبير عنيف الخصومة، شديد العقوبة، وقد أصيب

في آخر أيامه بعلة وبلاء في بطنه، وكان ذلك سبباً في انحراف خلقه، حتى ارتكب أمورًا تجاوز فيها صراط الحق والعدل، وكان آخر عبارة قالها وهو يعالج سكرات الموت:

- يارب، ارحم من جهل قدر نفسه فأبطره حلمك عنه.

عاشقة ماتت غرقاً

حين أموت..

لا تكتبوا اسمي على شاهدة قبري..

ولكن سطّروا حكاية حبي

وانقشوا: هنا ترقد امرأة،

عشقت ورقةً

ماتت غرقاً. داخل محبرة.

غادة السمان

وتقول: "أتابع انتحابي على كتف قارئي حزنا على رحيل زوجي، حبيبي، صديق حرفي "بشير الداعوق" بعد عقود من الحياة معا والموت معا، هذا قبل أن يرغمه السيد – الموت– على التخلي عني والذهاب خلسة بمفرده للقائه".

وتصف السمان بشكل مؤثر الساعات الأخيرة من حياة رفيق الدرب

التي قضتها وهي ممسكة بيد زوجها وهو يفارق الحياة وتصف تلك الساعات قائلة: "أحاول أن أنقل إليه سيالات حبي وأضخ فيه بعضا من عمري الباقي وأنا أعي هول فقدي له. كان حنونا كأم، سندا كأب، رفيقا كعاشق دائم، سخيا بقلبه وماله كأمير أسطوري، نبيلا وشهما كبطل حكاية للأطفال"..

وتعدنا غادة السمان وتعد صديقتها الفنانة الكبيرة فيروز التي أرسلت لها ببطاقة تهنئة بولادة ابنها ومن ثم فاكس التعزية: "لك في حازم السند والدعم.." إن بوسعها كتابة قصة تبدأ بالبطاقة الأولى المهنئة بولادة حازم وتنتهي بفاكس التعزية في زوجها الذي تذكر فيه بحازم الشاب الذي سيشد أزر أمه في مصابها. وهكذا أردت أن تكون حياتها رحلة بين بطاقتين: تهنئة، وتعزية.

وأخيرًا بعد رحلة شاقة في كتاب يجمع بين المتعة، والحكمة، والحزن، والضحك.. لا أستطيع أن أقول سوى جملة واحدة:

"قد يكون تحت كومة كتب قديمة مهملة كتاب يُغير حياتك، ربما يكون هو هذا الكتاب"..

الفهرس